

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي : /

رقم التسجيل : 1335072551

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص : أدب جزائري
بعنوان

تجليات المكان العماني في ديوان
(أمجادنا تتكلم) لمفدي زكرياء

إعداد الطالبة :

شبيبة مريم

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

د. لحواو الطاهر	أستاذ محاضر	جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
د. حجاب عبد اللطيف	أستاذ محاضر (ب)	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
د. مقيرش عثمان	أستاذ محاضر	جامعة محمد بوضياف المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 2017-2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل، ووافر التقدير وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور
حجاب عبد اللطيف الذي شرفني بإشرافه على هذه المذكرة، فكان خير معين، وخير
مرشدر، فقد أرشدني إلى طريق البحث بالعلم والمعرفة والصبر والأمل، فاللسان يعجز
عن ذكر فضله ومساعدته، ومتابعته للعمل إلى أن اكتمل، فجزاه الله كل خير ومتعه
بالصحة العافية .

كما أخص جزيل الشكر للأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه ومقامه، على
اطلاعهم على البحث وتقويمه، وإتني سأكون سعيمة وممتنة بالإفاة من ملاحظاتهم
القيمة وآرائهم السريرة.

كما لا يفوتني تقديم الشكر والتقدير إلى **أساتذة قسم اللغوب العربي** لما قدموه لنا من
علم ومعرفة.

أسأل الله أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه، وأن ينفعنا به، وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سائر المرسلين



مقدمة

مقدمة :

يشكل الشعر العربي بكل أبعاده الفنية والفكرية، حركة معرفية وجمالية تأسست على تجارب شعرية غنية المظهر والمضمون، فالشعر عالم ساحر وفضاء شاسع يسمح للمبدع بالتعبير عن أفكاره وخواطره بأرقى الأساليب الإبداعية، وذلك من الناحية الوجدانية والخيالية التي جعلته أسرع استجابة للآفاق الجديدة في الخطاب الأدبي. فصارت التجربة الفنية نابعة من واقع أحداث الحياة، ومن طموح الشاعر وجنوحه نحو التعبير عما يختلج في صدره وهذا ببناء صرح فني يبيت في النصوص الإبداعية جمالا وروحا جديدة .

كان المكان وما زال وثيق الصلة بالشعر والشعراء منذ العهد العربي القديم إلى العصر الحديث، فهو يشكل بالنسبة للشاعر عاملا لتحريك شاعريته من خلال علاقة التلازم التي تسهم في تداعي الذكريات .

كما يفضي إلى إبراز منجز شعري حقيقي مشكلا بذلك علاقة الشاعر وتعلقه بالمكان، وما يحمله من ذكريات وأشجان واستمر بروز المكان في الشعر العربي على مر الزمن، فمنه ما هو حنين للأوطان ومنه ما هو ذكريات حميمة التصقت بجماليات المكان .

وما ظهر في الساحة الثقافية الجزائرية من دواوين شعرية، إلا أننا ارتأينا اختيار ديوان "أمجادنا تتكلم" لشاعر الثورة مفدي زكرياء الذي استطاع بواسطة إبداعه الشعري التعبير عن المكان دينًا وطبيعة وتاريخا ولهذا سمينا بحثنا بـ **تجليات المكان العماني في ديوان "أمجادنا تتكلم"** وكانت قصيدة **"تحية البعثة الميزابية لجلالة الملك تيمور بن فيصل"** هي محل التطبيق، فقد حُقّ للبحث أن يدرس . والغوص في غماره أضاء لنا جوانب فنية عدة تتعلق بالمكان وجمالياته، وفتح لنا نوافذ مشرقة للتعلم في هذا الموضوع، إضافة لمسيرة الشاعر الإبداعية التي تنير لنا أكثر عن الإبداع الأدبي والإفادة من معطياته التي تعكس آفاقه، وعلى هذا الأساس سنطرح بعض التساؤلات الجوهرية وهي كالآتي :

• ما هي العوامل المؤثرة في رؤية وتكوين المكان العماني من خلال قصيدة الشاعر مفدي

زكرياء ؟

• فيم تحددت صور المكان في القصيدة ؟

• وما هي الأبعاد الدلالية لأنواع الأمكنة ؟

وبنينا هذه الدراسة على المنهج الوصفي لما يحتويه من وسائل وأدوات إجرائية تسهم في الكشف عن المكان وتجلياته وجمالياته في شعر مفدي زكرياء، غير أننا استعنا بآلية التحليل في الأبيات الشعرية .

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا برسم خطة بحث تضم : مقدمة وتمهيد وفصلين نظري وتطبيقي، فخاتمة، ففي المقدمة تطرقنا إلى الإحاطة بموضوع البحث، ثم جاء الفصل التمهيدي لنتناول فيه حياة الشاعر مفدي زكرياء ومراحل شعره ولمحة موجزة عن الديوان، أما الفصل الأول فوسمناه ب : (تحديد مصطلح المكان)، ويتضمن المفهوم اللغوي للمكان ثم بمفهومه الفلسفي وأخيرا بمعناه الأدبي (في النقد الغربي والموروث العربي - الأدبي والنقدي -) بعد ذلك تعرضنا لأنواع المكان (الطباعي - الجغرافي والفضاء الدلالي) ثم تعرضنا لإشكالية المصطلح، وتطرقنا هنا لتعريف الفضاء والحيز مبينين الإشكالية فيه، وأخيرا تناولنا أهمية المكان في العمل الأدبي ليكون هذا هو الفصل النظري، في حين جاء الفصل الثاني تطبيقيا على القصيدة فعنوانه ب : (دلالة المكان في قصيدة تحية البعثة الميزابية لجلالة الملك تيمور فيصل) والذي يتمحور أولا على تنوع الأمكنة ودلالاتها، ثم تحولاتها في الجزء الثاني الذي يتناول أنسة المكان وصورة الأرض ليكون الجزء الأخير عن جماليات المكان في الصورة والواقع والخيال، لنصل في الأخير إلى خاتمة كانت خلاصة لما أفرزته هذه الدراسة من نتائج.

وكان لابد لهذا البحث أن يعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع التي استقينها منها

المادة العلمية والفكرية . ونظرا لكثرتها وتنوعها ، اخترنا أبرزها : فتحة كحلوش في كتابها "

بلاغة المكان قراءة مكانية النص الشعري" و حسن نجمي في كتابه " شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية" ، و محمد ناصر في كتابه " مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة".

وفي هذه الرحلة العلمية واجهتنا جملة من الصعاب والمشقات وتلك سمة من سمات الدراسات العلمية الأكاديمية ، إذ أنه ليس من السهل اقتحام الميدان الشعري وفك شفراته والوصول إلى دلالاتها المختلفة، فكان من الصعوبات التي واجهتنا هي قلة المراجع التي تتناول المكان في الشعر بالدراسة ، مقارنة بكثرتها في الرواية ، إضافة إلى عامل الوقت الذي لم يسمح لنا بالتعمق بالدراسة والإلمام بها بصورة كلية .

ختاماً وعرفاناً لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور **حجاب عبد اللطيف** الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه المذكرة، والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته ومساهمته الفعالة في إنجازه .

أعان الله به كل باحث ووفقه لمزيد من العلم والساداء، وإلى كل من تقدم بالمساعدة من قريب أو بعيد .

وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، فإن كان بعملنا الصواب فمن الله وحده ، وإن قصرنا فذلك ما جبلنا عليه فنحن أبناء البشر، ولا ندعي أننا أشعلنا شمعة تنير الطريق لمن أخذ من بعدنا بالموضوع فأتى ما به من نقصان، فلنا ولكم أسأل الله التوفيق والرشاد.

الفصل التمهيدي

1- حياة الشاعر مفدي زكرياء

(مولده، وفاته، أعماله)

2- مراحل شعره:

أ- شعر المرحلة الأولى

ب- شعر المرحلة الثانية

ج- شعر المرحلة الثالثة

3- لمحة عن ديوان "أمجادنا تتكلم"

1- حياة الشاعر مفدي زكرياء (مولده، وفاته، أعماله):

هو مفدي زكرياء بن سليمان الشيخ صالح ، ولد يوم 12 جمادى الأولى سنة 1326هـ الموافق لـ 12 أبريل 1908م ، في واحة بني ميزاب بقرية بني يزقن جنوب الجزائر .

بدأ تعلمه بالكتاب في مسقط رأسه وفي السابعة من عمره انتقل إلى مدينة عنابة حيث يعمل أبوه تاجرا وفيها واصل دراسته.¹

التحق بالبعثة الميزابية بتونس ، فواصل دراسته هناك في:

مدرسة السلام القرآنية نال خلالها شهادة الإبتدائية في اللغة العربية وتعلم مبادئ اللغة الفرنسية، والمدرسة الخلدونية حيث درس مواد علمية كالحساب والجبر والهندسة والجغرافيا ، وجامع الزيتونة هناك درس كتباً في الإختصاص تتعلق بالنحو والبلاغة والأصول .وكان يحضر مسامرات الأديب التونسي الكبير العربي الكبادي² وجمعيته صداقة حميمة في تلك الفترة بالشاعرين: أبو القاسم الشابي³ ورمضان حمود⁴ الذي كان زميلا له في البعثة.⁵

¹ - يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء ، ط1، دار كتاب البحث، قسنطينة ، الجزائر، 2005، ص38.
² - العربي الكبادي(1880-1961) ولد بتونس وفيها توفي ، كان شغوفا بالإطلاع ، عمل رئيس تحرير لجريدة " النهضة" الأسبوعية ، ثم انتدب لإلقاء محاضرات عن قضايا الأدب العربي في معهد الخلدونية والمدرسة "العليا للأدب العربية".

³ - أبو القاسم الشابي(1909-1934) ولد بتونس لقب "بشاعر الخضراء" ، من قصائده إرادة الحياة ، إلى طغاة العالم، عذبة أنت ، توفي متأثرا بمرضه.

⁴ - رمضان حمود(1906-1929) ولد بوادي ميزاب وزميل مفدي في البعثة الميزابية ، شاعر وكاتب وطني تعرض لمحاولة اغتيال من السلطات الفرنسية تعرض للسجن وهو دون العشرين.

⁵ - مفدي زكرياء ، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى ، ج و تح: مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكرياء ، الجزائر، 2003 ، ص1.

تلقى مبادئ العربية والعلوم التكوينية على يد ثلة من الأساتذة والأعلام والمشايخ: محمد الثميني¹، أبي اليقظان ابراهيم بن الحاج عيسى² الشيخ طفيش³ صاحب مجلة (المنهاج بمصر) فيقول : (درست على هؤلاء دروسا دينية ، وأخرى في الوطنية والتضحية في سبيل الوطن العزيز والأمة المجيدة)⁴.

اتصلت حياة مفدي زكرياء الأدبية اتصالا جذريا بنشاطه السياسي الوطني، وبدل إنتاجه الشعري الذي نشره بجريدتي "الشهاب" و"وادي ميزاب" أنه كان متواجدا بالجزائر مشاركا في أحداثها متتبعا لتطوراتها الإجتماعية والسياسية ولاسيما في إطار الحركة الإصلاحية.

واكب شعره بحماسة كل مراحل النضال والجهاد والكفاح التحرري منذ عام 1925م، وتميز شعره بصدق التعبير ، وجزالة الأسلوب ، وقوة الإيحاء، وكرهه الشديد للمستعمر الفرنسي ، الذي نعاه في كل أشعاره.⁵

وغداة اندلاع الثورة التحريرية الكبرى انخرط في أولى خلايا جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة، وألقي عليه وعلى زملائه المشكلين لهذه الخلية القبض، فأودعوا السجن بعد محاكمتهم، فبقي فيه لمدة ثلاث سنوات من 1956/04/18 إلى 1959/02/01.⁶

¹- محمد الثميني (1897-1970) كان مبعوث الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى أمريكا والمغرب لخدمة القضية الوطنية، كانت له صداقة وطيدة بشيخه محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير (التحرير والتنوير).

²- أبي اليقظان ابراهيم (1888-1973) ولد بالقرارة ودرس بالزيتونة ، يعد رائد الصحافة الجزائرية، كتب في الصحف الجزائرية والتونسية، أنشأ ثمانية (08) جرائد عطلها الإستعمار جميعا.

³- الشيخ طفيش ابراهيم (1886-1965) ولد بيني يزقن ، نفاه الإستعمار من الجزائر إلى تونس حيث أكمل دراسته وشارك في الحزب الدستوري ، فنفته فرنسا من هناك (تونس) إلى مصر وتوفي في القاهرة.

⁴- محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط2، دار بهاء، قسنطينة ، الجزائر، 2007، ص255.

⁵- محمد العروسي حامدي، الجملة الفعلية وأنماطها في إلياذة الجزائر للشاعر مفدي زكرياء - دراسة دلالية - مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر2، 2011، 2012، ص11.

⁶- مفدي زكرياء ، أمجادنا تتكلم، ص2.

بعد خروجه من السجن فر إلى المغرب الأقصى ثم انتقل إلى تونس لتلقي العلاج نتيجة الإرهاق والمرض بفعل التعذيب الذي لقيه في السجن ، فعالجه الطبيب الثوري فرانز فانون **Frantz fanon***، وبعد ذلك كان سفير القضية الجزائرية بشعره في الصحافة التونسية والمغربية، كما كان سفيرها أيضا في المشرق لدى مشاركته في مهرجان الشعر العربي بتونس سنة 1961م.¹

ويمكن استخلاص الحياة العملية لمفدي فيما يأتي :

- انضم إلى صفوف العمل السياسي والوطني منذ أوائل الثلاثينيات.
- كان مناضلا نشيطا في صفوف جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين.
- كان عضوا أساسيا في حزب شمال افريقيا.
- كان عضوا في حزب الشعب.
- كان عضوا في جمعية انتصار للحريات الديمقراطية.
- انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائري.
- سجنته فرنسا خمس (05) مرات ابتداء من عام 1937 وفر من السجن عام 1959م .
- ساهم مساهمة فعالة في النشاط الأدبي والسياسي في كامل أوطان المغرب العربي.
- عمل أمينا عاما لحزب الشعب.
- عمل رئيسا لتحرير صحيفة "الشعب" الداعية لإستقلال الجزائر سنة 1937.
- واكب شعره بحماسة الواقع الجزائري ، بل الواقع في المغرب العربي في كل مراحل الكفاح منذ سنة 1925م ، حتى سنة 1977 داعيا إلى الوحدة بين أقطارها.
- ألهم الحماس بقصائده الوطنية التي تحت على الثورة والجهاد حتى لقب بشاعر الثورة الجزائرية.
- هو صاحب نشيد الثورة الجزائرية والنشيد الوطني الجزائري "قسما" .

¹- بوعلي عبد الناصر ، الوظائف الدلالية في شعر مفدي زكرياء ، مخطوط شهادة الدكتوراه في اللغة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ، الجزائر، 2006-2007، ص 37.

إن اللغة الشعرية عند مفدي متميزة بخصائص انفراد بها، فهي تغترف من منبع القرآن الكريم الذي لا ينضب، وتحاكي فحول الشعراء الأقدمين ، فكان شعره وقود الثورة وعنفوانها ، ونارها ولهيبها ، فيه لغة الحركة والإنفعال لكثرة الفعل المنجز فيها، دليل على حركية الشاعر وجهاده المتواصل الذي خاضه للتحرر والتحرير.¹

وعلى إثر سكتة قلبية انتقل شاعرنا مفدي زكرياء إلى جوار ربه يوم الأربعاء 02 رمضان 1397هـ الموافق لـ 17 أوت 1977م، بعد أن أدى فريضة الحج هو وزوجته ، وقد طلبت كل من الحكومتين التونسية والمغربية أن تتولى دفن جثته في أرضهم ، إلا أن الحكومة الجزائرية أثبت ذلك وجعلت الأرض التي أحبها ودافع عنها بكل قواه تحتضنه.² وبذلك دفن بمسقط رأسه بمنطقة ميزاب ليرقد آمنا مطمئنا في وطنه الذي قضى حياته يهتف به وينادي بعزته وكرامته.

مفدي زكرياء هو صاحب الأناشيد الوطنية النشيد الوطني الجزائري "قسما" نشيد الإنطلاقة الأولى "فداء الجزائر" نشيد الشهداء، نشيد جيش التحرير الوطني، نشيد الإتحاد العام للعمال الجزائريين، نشيد اتحاد الطلاب الجزائريين، نشيد معركة بنزرت التاريخية، نشيد الجيش المغربي...³

حاصل على الأوسمة التالية:

- وسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من عاهل المملكة المغربية محمد الخامس بتاريخ 21 أفريل 1961.
- وسام الإستقلال، ووسام الإستحقاق الثقافي ، من رئيس الجمهورية التونسية محمد بورقيبة.
- وسام المقاوم من الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بتاريخ 25 أكتوبر 1984.

¹- محمد العروسي حامدي، الجملة الفعلية وأنماطها في إلياذة الجزائر للشاعر مفدي زكرياء، ص11.

²- حواس بري، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص53.

³- مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص2.

- شهادة تقدير على أعماله ومؤلفاته، وتقدير لجهوده ونضاله في خدمة الثقافة الجزائرية من الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد 08 يوليو 1987.

- وسام الأثير من مصف الإستحقاق الوطني من الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة بتاريخ 04 يوليو 1999.

انتاجه الأدبي:

- اللهب المقدس 1961.

- تحت ظلال الزيتون 1966.

- إلياذة الجزائر 1972.

- من وحي الأطلس 1976.

- أمجادنا تتكلم من تصدير رئيس الجمهورية الجزائرية السيد عبد العزيز بوتفليقة سنة 2003.

أما نشره فكثير متفرق في صحافة المغرب العربي، وله كتب ذكرها في أحاديثه الصحفية، لكنها لم تر النور إلى تاريخ اليوم، من ذلك: أضواء على وادي ميزاب، الكتاب الأبيض، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، مسرحية "الثورة الكبرى"، الأدب العربي في الجزائر عبر التاريخ بالإشتراك مع الهادي العبيدي، وغيرها.¹

2- مراحل شعره:

إن المتمعن في مسار مفدي الشعري والدارس له يمكنه تمييز فترات زمانية كل فترة لها دوافعها وخصوصيتها فقد عايش أحداث بلاده في زمن عصيب وتتلخص في ثلاث (03) فترات² هي:

أ- فترة الحركة الوطنية.

ب- فترة الثورة التحريرية.

¹ - المرجع السابق ، ص 03.

² - بو علي عبد الناصر، الوظائف الدلالية في شعر مفدي زكرياء، ص 37.

ج- فترة الإستقلال.

وهذه الفترات تمثل المراحل الثلاث لشعر مفدي زكرياء وهي كالآتي:

أ/ شعر المرحلة الأولى:

نشأ مفدي زكرياء شاعرا في أوضاع خاصة كانت تمر بها الجزائر ، إلى جانب سيطرة الإستعمار الفرنسي على البلاد وتضييقه الخناق على الفئة المثقفة والحريات العامة، مما اضطره إلى السفر للدراسة بتونس ، ونتيجة دراسته في الزيتونة وتعرفه على العديد من الشخصيات العلمية والأدبية والسياسية ، وإطلاعه على معالم الحضارة العربية والإسلامية.

فتعددت أشكال شعره في هذا الطور من الحديث عن حياته وتجاربه وطموحه إلى الإشادة بأمجاد الأمة الإسلامية . ومستلهما من التراث العربي القوة والعظمة.

ومن قصائد هذه المرحلة نذكر قصيدة مدح لجلالة الملك تيمور بن فيصل ملك السلطنة العمانية بتاريخ 17 ديسمبر 1926 يقول فيها:

يا أيها الملك الأعلى الذي خضعت له الرقاب، وقاد الجحفل اللجبا

لك المآثر في الدنيا مؤبدة يامن تسامى السّما في مجده وربّا¹

وقصيدة "جزائر ما أشقاك بالجهل" والتي نشرتها جريدة المغرب الجزائرية لصاحبها

الشيخ أبو اليقظان بن ابراهيم بن الحاج عيسى² ، يقول فيها:

بني وطني ماذا الركود بأمة رمتها العوادي تحت أقدامها صرعى؟

إلام؟ وقد أودى بها وأمضّها (سنون) بلاء، من سني يوسف سبعا؟

¹ - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص48.

² - سنة أولى ، العدد الثامن(08) بتاريخ، 18 صفر 1349 هـ الموافق ل 15 جويلية 1930م.

بويلات محق، لن تطبقوا لها دفعا	وصادمها كف الحوادث غيلة
إلى شر غايات، طوين لها خدعا	وشردها الأحقاد في كل وجهة
فأعدم منها القلب والعين والسمعا ¹	وأودى بها - ويلاه - جهل مخيم

ب/ شعر المرحلة الثانية:

وهو شعر الثورة التحريرية الكبرى 1954-1962 أين ارتمى الشاعر فيها بكل قواه، وحشد كل ما يملك من طاقة ، فوظف شعره من أجل استقلال الجزائر وإلحاقها بركب دول المغرب العربي، فغلبت عليه وحدة الشعب الجزائري ووحدة أقطار المغرب العربي ، ووحدة الأمة الإسلامية.

وقد كان للسجن والنفي والمحاربة ومصادرة الفكر والقمع ، ما هز كيانه وجعله في حالة من التوتر النفسي والفني، وظهر ذلك في سلوكه مجاهدا ضد الإستعمار وفي كلماته القوية الصلبة ذات الوقع الثقيل.

وقد تنكر لوجدانه وعواطفه الذاتية وحياته الخاصة، وسخر فنه وموهبته لإنقاذ أمته ووطنه وشعبه من الدمار، فراح يدعو إلى الإنتفاضة الشاملة والثورة والجهاد بالنفس لتحرير الأرض المغتصبة.

ويشكل شعره في هذه المرحلة لونا من ألوان النضج له طعمه وله خصوصيته النفسية والفنية ، وبعد خروجه من السجن اندرج شعره في المجال السياسي وما يوجد تحتها من مفاهيم واسعة معالجة لشؤون الوطن الخارجية اقليميا وعربيا ودوليا.

ولمفدي في هذه المرحلة العديد من القصائد ، منها:

¹ - مفدي زكرياء، أمجادنا نتكلم، ص 82.

- قصيدة "الذبيح الصاعد" نظمها سنة 1955 بسجن بربروس أثناء تنفيذ حكم الإعدام بالمقصلة على الشهيد البطل أحمد زبانة رحمه الله ليلة 18 جويلية 1955 . ومطلعها:

قام يختال كالمسيح وئيدا	يتهادى نشوان، يتلو النشيدا
باسم الثغر ، كالملائك أو كالط	فل ، يستقبل الصباح الجديد
شامخا أنفه، جلالاتيهلا	رافعا رأسه، يناجي الخلودا ¹

- قصيدة " قالو نريد" نظمها سنة 1955 بين يدي الملك محمد الخامس بمناسبة استقلال المغرب الأقصى وذلك بالقصر العامر يوم 17 نوفمبر 1955.²

- قصيدة " أكذوبة العصر" نظمها سنة 1959 للتدبير بموقف الأمم المتحدة إثر موقفها المفضوح من قضية الجزائر في الدورة الرابعة عشرة المنعقدة بشهر نوفمبر ، يقول فيها:

أكذوبة العصر، أم سخرية القدر؟	هذي التي أسست في صالح البشر؟
أم إن "لوزان" في الأحياء قد بعثت	بحفل "تيويورك" ما أفضى إلى سقر؟ ³

¹ - مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص17.

² - المرجع نفسه، ص97.

³ - المرجع نفسه، ص121.

ج/ شعر المرحلة الثالثة:

وفي هذه المرحلة نجد الموهبة قد ابلغت أقصى غاياتها ، التي تحضنها الخبرة والممارسة والثقافة ووضوح الرؤية، الذي يؤدي إلى الإبداع وجودة التراكيب وبروز العبقرية.

وقد كانت الجزائر في تلك الحقبة تتعم بالإنستقلال وتتمر بأحداث في السياسة والإجتماع والثقافة، ولم يتخلف الشاعر عن هذه الأحداث بل واكبها وأعلن مشاركته فيها، وعاش تلك القضايا التي مر بها المجتمع الجزائري فتوقف عند إيجابياته وسلبياتها فأعلن موقفه مؤيدا ومعجبا ومعارضاً ومنتقداً.

عاش زكرياء مشكلات التعليم والإصلاح الزراعي، والاقتصادي والثقافي والفكري والتعليم الديني والصراع المعلن والخفي والصراعات الإقليمية والعالمية كان يعمل على تطويع نفسه ليتعايش مع المرحلة ويشارك ويساير المجتمع في العديد من المواقف والمناسبات وقد كان يعتقد أن عليه دورا يؤديه للوطن والأمة، وقد تجلى ذلك في انجازه للإلياذة سنة 1972م.

3- لمحة عن ديوان أمجادنا تتكلم:

جاء ديوان أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى تصدير بقلم فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة ، من جمع وتحقيق مصطفى بن الحاج بكير حمودة الصادر عن مشترك بين مؤسسة مفدي زكرياء والوكالة الوطنية للإتصال والنشر - الجزائر - سنة 2003.

وقد حظي الشاعر مفدي زكرياء باهتمام وتقدير كبير من طرف الباحثين ، فجاء التحفيز لإحياء ذكرى 25 لوفاة شاعر الثورة الجزائرية ، فكان جمع تراث مفدي زكرياء الأدبي من أبرز أهدافها وإحياء هذه الذكرى مركزة بالأساس على خدمة شخصية الشاعر وتراثه الفكري والأدبي من الناحية العلمية.

كانت التظاهرة لإحياء هذه الذكرى (من شهر فيفري إلى شهر ديسمبر سنة 2003) التي تمت فيها عملية جمع تراث **مفدي زكرياء**. وولدت اصدار الديوان الجديد الذي كان حصاد التظاهرة، وكان تعبيرا عما عاشه من قساوة ومعاناة في السجن والإغتراب.

تطوع الباحثون بجمع ورصد شعره غير المنشور في إحدى دواوينه السابقة ، فيما توفر من وثائق خطية وصحف مغربية ومشرقية ، فقد جمعت في الديوان مرتبة حسب تواريخها . وهو ما قاله الشاعر نفسه في لقاء إذاعي بعنوان " زيارة خاطفة " نشطه الشاعر والأديب **عبد المجيد بن جدو** - بعيد صدور ديوان " تحت ظلال الزيتون " فقال: (... لم أهتم بترتيب قصائدي في الديوان ترتيبا زمنيا باعتبارها مراحل في حياتي فحسب...أحب دائما ترتيب شعري ترتيبا تاريخيا).¹

وافتح هذا الديوان بنص عنوانه "تهنئة بمولود " بغية التفاؤل وأن تكون ولادة لهذا الديوان بعد ستة وعشرون(26)سنة من صدور آخر ديوان له "من وحي الأطلس".

يتألف ديوان " أمجادنا تتكلم" من 325 صفحة يضم بين دفتيه 79 قصيدة وهي قصائد مختلفة تمثل **مفدي** في مختلف مراحل حياته الأدبية منذ أن كان شاعرا مبتدئا إلى أن تمكن من قرضه وأصبح ينافس على صدارته.

فيما كانت موضوعات الديوان متداخلة مع بعضها وهي قصائد طوال يتداخل فيها الموضوع الوطني بالقومي ليصعب الفصل بينها.

يتبين لنا أن قصائده في تنوعها وتراثها تمثل مزيجا بين الأدب الرفيع ومشاعر الوعي العربي والحضاري والإنساني ، كما تجسد التحاما وجدانيا لرجل حمل بين جناحيه الجزائر وثورتها.

¹ - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص10.

ثم أن مفدي زكرياء كان أكثر الشعراء ارتباطا بالتاريخ وبرموزه ، محاولة منه ضمن التواصل بين الأجيال والعصور والأحقاب ، من خلال الإنسان الذي تحدى ضعفه، فصنع الأمجاد، فعزز الشعور بالإنتماء ورسخ فيهم شعورهم بشخصيتهم المستقلة . فتواصلت سلسلة الأمجاد ولم تنقطع.

الفصل الأول : تحديد مصطلح المكان

- 1- مفهوم المكان
- 2- أنواع المكان
- 3- المصطلحات المقاربة للمكان
- 4- أهمية المكان

1/ مفهوم المكان:

أ/ لغة :

لننطلق أولاً من القرآن الكريم في محاولة للوقوف على مفهوم هذه اللفظة لغوياً ،
فنجدها تحمل دلالات ومعاني متنوعة ، ومنها ما يأتي:

1- منها ما يدور حول معنى (الموضع) أو (المحل) ، كقوله تعالى : ﴿ وَذَكُرْ فِي

الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ¹ .

2- ومنه ما جاء بمعنى (بدل) ، مثل قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا

كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ² .

3- بينما وردت في مواضع أخرى بمعنى (المنزلة) ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ

فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ³ .

وبذلك فإن (الموضع أو المحل وبدلاً منه ومنزلة) من أبرز المعاني المذكورة

للمكان في القرآن الكريم.

أما في المعاجم اللغوية العربية ، فقد ذكر الخليل (ت 175هـ) أن المكان (في

أصل تقدير الفعل: مفعول لأنه موضع للكينونة). ⁴ وبهذا يكون قد ركز على معنى

الموضع دون باقي المعاني.

¹ - سورة مريم الآية 16.

² - سورة يوسف ، الآية 78

³ - سورة مريم ، الآية 75.

⁴ - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د ت ، ج5، ص386.

أما ابن دريد (ت 321هـ) فقد توسع في عرض مفهوم (المكان) من وجهة نظر أخرى ، وتحت مادة (كمن) فقال : (كمن الشيء في الشيء ، وكمن يكمن كمونا ، إذا توارى فيه، والشيء كامن ؛ ومنه سمي الكمين في الحرب ، وكل شيء استتر بشيء فقد كمن فيه كمونا...والمكان : مكان الإنسان وغيره ، والجمع أمكنة . ولفلان مكانة عند السلطان ، أي منزلة ؛ ورجل مكين من قوم مكنا عند السلطان).¹

وبهذا تكون لفظة (المكان) وتحت الجذر اللغوي (كَمَنَ) عند ابن دريد تدل على الإحاطة والإستتار التي أشار لها بداية ، ثم على المفهوم المجازي بدلالاتها على المنزلة العالية ثانيا.

وقد سار اللغويون اللاحقون على هدى أولئك السابقين في المفهوم اللغوي للفظـة (المكان) ك ابن منظور (ت711هـ) الذي يقول : (والمكان – الموضع- والجمع أمكنة . وأماكن جمع الجمع والعرب تقول : كن مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه، وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية).² إلا أن الزبيدي (ت 1205هـ) جاء بمفهوم أوسع للفظـة مفاده أن (المكان : الموضع الحاوي للشيء وعند بعض المتكلمين ، أنه عرض وهو اجتماع جسمين . حاو ومحوي ، وذلك ككون الجسم الحاوي محيطا بالمحوي ، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين ، وليس هذا بالمعروف في اللغة).³

¹ - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة ، تح وتق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، نوفمبر 1987 ، ج1، ص983.

² - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، ط1، دار صادر، بيروت ، لبنان ، 1990، مجلد 13، ص 414.

³ - السيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ط1، تح : عبد الكريم العزباوي ، راجعه: ضاحي عبد الباقي وخالد عبد الكريم جمعة ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت 1422هـ/2001م، ج36، ص189 .

وبهذا قرب الزبيدي المفهوم اللغوي للمكان من المفهوم الاصطلاحي له . في حين نلاحظ أن أغلب المعاجم اللغوية الحديثة لم تركز على ما ذكره ، ولعل ذلك يرجع إلى عده من اختصاص الاصطلاحيين.

ب- اصطلاحاً:

في محاولات الوصول إلى المفهوم الاصطلاحي للفظ (المكان)، نجد أن لها الكثير من الدلالات، واقتحمت العديد من الميادين المعرفية ، ووجدت هذه اللفظة صداها في مختلف المجالات العلمية والأدبية متفقين أو مختلفين في مفهوماتهم لها، ومؤكدين على أحد مدلولاتها فيما يتعلق بذلك العلم.

وهي تأخذ بذلك أبعادها من مختلف السياقات التي تنتجها المعرفة النصية، ومنها " المفهوم الفلسفي " الذي اخرج مصطلح المكان من المفهوم العلمي الدقيق إلى آفاق التصور والتخيل الذي يخاطب الوجدان ، ومنها ما هو " أدبي فني " وهنا نعتمد على ما أنجزه النقاد والدراسون.

1- المفهوم الفلسفي للمكان:

وقد اتخذ المفهوم الاصطلاحي للمكان، بعدا فلسفيا مع الفلسفة اليونانية ويعد أفلاطون أول من صرح بهذا المصطلح وعده (حاويا، وقابلا للشيء)¹. ويشير هذا إلى أن المكان عنده ليس منفصلا عن الأشياء بل يتجدد ويتشكل خلالها.

وبعده أخذ الاهتمام بهذا المصطلح يتزايد ونجد أرسطو الذي يقول : (إن المكان هو نهاية الجسم المحيط ، وهو نهاية الجسم المحتوى)² ، وعده ثالث خمسة أشياء مشتملة على الطبائع كلها وهي: العنصر والصورة والمكان والحركة والزمان.

¹- حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر (أحمد عبد المعطي حجازي نموذجاً) ، عالم الكتب الحديث ، اريد ، الأردن ، 2006، ص18.

²- المرجع نفسه ، ص 18 .

والملاحظ على هذين التعريفين اتسامهما بالحسية التي تمثل صورة المكان الذهنية، وصور مظاهر محسوسة، وهي بهذا تشير إلى مواقع أو أماكن ذات خصائص عاطفية. وكما شغل (المكان) فلاسفة اليونان، فقد كان محط انشغال الفلاسفة العرب أيضاً، ومنهم ابن سينا الذي عرف المكان بقوله: (السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي).¹

وهو بذلك فرق بين مفهومين للمكان: المكان الحقيقي هو السطح المساوي لسطح المتمكن، وهو نهاية الحاوي المماس لنهاية المحوي، أما المكان غير الحقيقي فهو الجسم المحيط.²

2- المفهوم الأدبي للمكان:

لقد اهتم الكتاب بالمكانية في العمل الأدبي الفني، وباتت أعمالهم وكتاباتهم تعالج أو تطرح قضايا ذات علاقة مكانية. بحسب الرؤية التي يراها هذا الكاتب أو ذاك، فالمكان حقيقة معاشة يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثر فيه.³ وسنقف عند بعض الآراء المختلفة التي وقف عندها النقاد- الغرب والعرب- إزاء مصطلح المكان في دراساتهم النقدية.

- المكان في النقد الغربي:

لقد تعددت المصطلحات واختلفت في المؤلفات التي تناولت المكان، ولعل أول تعريف للمكان الفني هو تعريف غاستون باشلار Gaston Bachelard في كتابه (جماليات المكان) حيث يقول: (المكانية في الأدب العظيم تدور حول المحور)⁴،

¹ - غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له- دراسة مفهومية- مجلة أبحاث كلية العربية الأساسية، مج11، العدد2، 2010، ص248.

² - باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 1429هـ/2008م، ص169.

³ - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2011، ص33.

⁴ - غاستون باشلار، جماليات المكان، ط2، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1014هـ-1984م، ص6.

فالمكانية تتصل بجوهر العمل الفني ، وهي تبث ذكريات تتعلق ببيت الطفولة ، الذي يعد هو جذر المكان ويرتبط بدينامية الخيال بالنسبة للمبدع والمتلقي.

وحاول باشلار تقديم المكان في بعده الزمني ، حيث يتمثل عنده في البيت ، وهذا لا يعني أنه لا مكان في العالم سوى البيت، لكنه وانطلاقاً من تركيزه على قيم الحميمية والحماية يعتقد أن كل الأمكنة المسكونة حقاً، والمعلوم بها تحمل جوهر مفهوم البيت.¹

وبهذا يكون باشلار قد ركز في عمله على الجانب النفسي للمكان، وبذلك لم نجد عنده مفهوماً أدبياً متكاملًا له، ولعل أهميته تكمن في ربطه بين المكان والنص الشعري.²

ثم توالى بعد هذه الدراسة للمكان، ظهور العديد منها كدراسة الباحث يوري لوتمان **Youri lotman** الذي انطلق في كتابه (بنية العمل الفني) من فكرة يربط بينه وبين العمل الفني ويعرف المكان على أنه (مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة... الخ تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الإتصال . المسافة... الخ).³

وبعد لوتمان أقام جون ويسجربر **Jean weisegerber** في كتابه (الفضاء الروائي) سنة 1978، البناء النظري الذي تستند إليه التقاطبات المكانية في اشتغالها داخل النص، وذلك عن طريق إرجاعها إلى أصولها المفاهيمية الأولى، وهذه التقاطبات لا تلغي بعضها البعض، وإنما تتكامل فيما بينها ، لتقدم مفاهيم تساعد على فهم كيفية اشتغال المادة المكانية في الحكى.⁴

¹ - فتحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، ط1، دار الانتشار العربي، بيروت ، لبنان، 2008، ص19.

² - المرجع نفسه، ص20.

³ - محمد عزام ، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، سوريا، 2003، ص193.

⁴ - المرجع نفسه، ص 21.

- المكان في الموروث العربي (الأدبي والنقدي):

كان للمكان أثر على الشاعر العربي الذي يتأثر بكل ما يحيط به، وهذا ما تبرزه نصوص شعرية عديدة اشتملت على أماكن مختلفة، كالأماكن الطبيعية والتاريخية... التي تنصدر مقدمة القصائد أو تتخلل متونها، وتعتبر هذه الأماكن مجملة عن الارتباط بالمكان حقيقة معيشة ومؤثرة.

أدى ارتباط الشاعر العربي بالمكان إلى ظهور الطلل وانتشاره في الشعر العربي، وقد حملت الأماكن دلالات عميقة، بخاصة تلك التي تجاوز فيها الشعراء تخوم الوصف المادي (الحسي) الذي تبصره عين الشاعر، وتم الجمع فيها بين المكان والمرأة، وحول فيها المكان إلى رمز للفناء والدمار، والمرأة ترمز للبقاء والاستمرار، وهذا (الجمع بين النقيضين الفناء والحياة في موقف واحد، يدل على تأكيد إحساس الشاعر بالتناقض العام المائل سواء في العالم الخارجي، أو في عالمه الباطني...) ¹ ويكون الشاعر في جمعه بين المكان (الطلل) والمرأة (ينهج منهاجاً فلسفياً، لأنه يجمع بين نقيضين متضادين من خلالهما يبحث عن الحقيقة) ².

وحينما عرف الشعراء العرب الحواضر، انعكست تجلياتها في أشعارهم (وبلورها الشاعر ضمن وعيه الجمالي بالمكان؛ إلى دروس وصفية، أو مدحية، حنين أو مراثي، تبرهن على تاريخية هذا الشعر وانخراطه في هموم المرحلة من جهة وعلى كفاءته في التعبير عن موقفه إزاء المدينة، ضمن حدود ما رسمته نظرية الشعر في تراثنا العربي وما أتاحت خبرته بالحضارة والمدن آنذاك من جهة أخرى) ³.

¹ - نور الدين السيد، الشعرية العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 262.

² - محمد مهداوي، جمالية المقدمة في الشعر العربي القديم (مقاربة تحليلية)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2009، ص 13.

³ - إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي (الجزائر انموذجا 1925-1962)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 34.

وقد سجل الشعر العربي العديد من القصائد التي تدور حول القصور الضخمة لبني العباس وما يحيط بها من حدائق وبساتين منسقة تنسيقاً حضارياً وسط المدن الكبرى في كل من بغداد والبصرة والمدن الإسلامية فيما وراء النهرين...

واهتمام الشعراء العرب بالمدينة لم ينسهم البوادي و (لم تنقطع الذات العربية عن الصحراء بما هي المكان المرجع حيث الأصول والجذور، ومهبط الوحي، منبع الإلهام، أرض السحر والجمال الإلهي، الذي ملأ دنيا العربي، وتشبعت بها ذاته، حتى كأنها جزء من الكون وامتداد للطبيعة).¹

أما في السرد العربي القديم، فقد مثل المكان واحداً من المكونات الأساس، في بناء نصوصه السردية، فالمتأمل في المقامات العربية كالمقامات الهمدانية والحريية، يجد بنى مكانية متنوعة، إلا أن البنية الأبرز والأكثر تواتراً في هذه النصوص هي بنية المدينة بما تحتويه من أسواق ومجالس ومنتزهات وبيوت ومساجد وقصور ودواوين.

لقد كانت المقامة كما يرى بعض الباحثين (أقرب الأنماط الأدبية التي تعتمد على القص، أو الحكى في القصة لاعتمادها على حدث محدد وشخصية واحدة حاسمة... وحبكة دقيقة وزمان ومكان محددين).²

وتلعب الأماكن دوراً هاماً في تأطير الأحداث وغالباً ما يعتمد الكاتب إلى وصفها وصفاً مجملاً باعتبارها إطاراً للأحداث (غير أن ذلك الوصف المجمل يحدث في بعض المقامات، كما يكتسب المكان دلالة رمزية يمكن أن تتطافر مع باقي تقنيات السرد في إنتاج دلالة محتملة للنص).³

وفي حديثنا عن الحيز في الموروث السردى العربي يذهب الناقد عبد المالك مرتاض إلى (أن عبقرية التشكيل العربي في رائعة "ألف ليلة وليلة" تمثل : في تعاملها مع

¹ - المرجع السابق، ص33.

² - خليل إبراهيم أبو دياب، دراسات في فن القص، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، لإسكندرية مصر 2006، ص17.

³ - ينظر : عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

الأحياز وقدرتها العجيبة وذلك بفضل عبقرية الخيال الشعبي على إنشاء هذه الأحياز ، وإعطائها أسماء عجيبة تمنحها الشرعية الجغرافية الوهمية)¹، وقد تكون الليالي كما ذهب الناقد(من أكثر الآثار الأدبية الإنسانية ازدخارا ، إن لم أزخرها إطلاقا فعلا بالتنوع في الحيز، والتنوع في الفضاء والغربة في تقديم المكان للمتلقي)².

أما بالنسبة لمصطلح (المكان) في النقد العربي لم يظهر إلا في السنوات الأخيرة ، وعده الروائيين قسما مكملًا للشخصيات والحدث، والنقاد بدورهم أغفلوا أهمية هذا العنصر في دراساتهم وركزوا على الجوانب الأخرى في النص الروائي، فالناقد يتعرض للمكان بوصفه تابعا لهذا الطرف وذاك.³

ولعل أولى بواذر الاهتمام بهذا المصطلح بدأت مع الناقد غالب هلسا الذي ترجم كتاب غاستون باشلار (La Poétique De L'espace) تحت عنوان (جماليات المكان)* وساهم هذا التعريب في انتشار مفهوم المكان وجمالياته في النقد الأدبي العربي الحديث.

بالإضافة لترجمة غالب هلسا لكتاب غاستون باشلار قامت سيزا قاسم بتعريب الفصل المتعلق بـ "مشكلة المكان الفني" من كتاب (بناء العمل الفني) للعالم السوفيياتي يوري لوتمان الذي انطلق في تحليله للمكان الفني من مقولة مفادها أن اللغة هي النظام الأولي لتحويل العالم إلى أنساق وهي ليست قائمة على التسميات ، لكنها مجموعة من العلاقات الخاضعة لقواعد وقوانين.⁴

¹ - عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998، ص161.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ينظر : غسان السيد ، المكان في الرواية العربية (جسر بنات يعقوب) نموذجا، مجلة الموقف العربي ، عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 319، تشرين الثاني 1997، ص3.

* - هناك اختلاف حول هذه الترجمة (المكان والفضاء) .

⁴ - عبد الله أبو هيف ، جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج27، العدد1، 2005، ص125

ثم تلت هذه الدراسة دراسات أخرى نذكر منها دراسة الناقد المغربي حميد لحميداني (بنية النص السردي) ، والذي اعتبر المكان بمثابة العمود الفقري لأي نص كما ميز بين المكان والفضاء ، ورأى بأن (الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء).¹

أما الباحث عبد المالك مرتاض فهو يميز في كتابه (في نظرية الرواية) بين المكان الحقيقي والمكان الأدبي، فالمكان الأدبي عالم بلا حدود وهو امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات وكل الآفاق.

ولقد صار درس المكان من منظورات المناهج النقدية الحديثة كلياً أو جزئياً ، غالباً على النقد التطبيقي العربي خلال العقد الأخير، نذكر من بين هذه الدراسات : دراسة عبد الصمد زايد (المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة) ، ومحمد عزام في (فضاء المكان الروائي) و(شعرية الخطاب السردي)² ، وغيرها من الدراسات النظرية والتطبيقية التي أصّلت لهذا المصطلح في تقاليد النقد الأدبي العربي الحديث.

¹ - حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت، 1991، ص63.

² - عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر، ص133.

3- أنواع المكان:

أ- المكان الطباعي:

ونقصد به المكان الذي يحتله النص على الصفحة ذلك أن الكتابة ليست تنظيماً للأدلة على أسطر أفقية ومتوازية فقط، إنها قبل كل شيء توزيع لبياض وسواد على مسند وهو في عموم الحالات الورقة البيضاء ، وهذا يعني أنها ثانوية للشكل الروائي في حين أنها أساسية بالنسبة للنص الشعري ، خاصة عندما تجاوزت القصيدة الشكل العمودي أو المؤلف لها.

ويدخل ضمن المكان الطباعي كل ماله علاقة بحجم الكتاب مروراً بالورق ونوعيته ومختلف التقنيات التي يوظفها الشاعر في طريقة عرضه على الصفحة البيضاء وتنظيمه لها من فراغات وحواش وألوان ، إنتهاء بالغلاف وما يحويه من رسوم.¹

ب- المكان الجغرافي :

هو المكان الذي تدور فيه الأحداث أو المكان الذي يغري الشاعر فيتحول إلى موضوع تخيل، فإذا ذكر اسم المدينة أو المنطقة فنحن ندرك تلقائياً الحدود الجغرافية لهذه الأماكن مع الإشارة إلى أن المكان داخل النص يكتسب أبعاداً نفسية واجتماعية وتاريخية وعقائدية.

وقد أشار غاستون باشلار إلى قضية مهمة وهي أننا إذا كنا نرغب حقاً في معالجة شعرية المنزل، فلا نخضعه للوصف الظاهري ، فالأمر متعلق بتجاوز قضايا الوصف للوصول إلى الارتباط بالمنزل وتشكل النواة الحقيقة لشعريته.

¹ - فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، ص23.

مع الإشارة إلى أن المكان الجغرافي يشمل بدوره أنواعا كثيرة من الأمكنة يمكننا أن ندرجها ضمن قسمين كبيرين هما : مكان الألفة ومكان الغربة.¹

ج/الفضاء الدلالي:

جاء استعمال عبارة "الفضاء الدلالي" بدلا من "المكان الدلالي" هو أن الأمكنة الموظفة في نص من النصوص الشعرية تتجاوز واقعيتها بمجرد تحولها إلى جسد لغوي ، وبذلك يتجاوز التعبير الشعري المعنى الواحد ويحيل القارئ على التوقعات وإعطائه فرصة تعدد قراءة النص فالشاعر هنا يعمل على إخراج الكلمات من قواميسها القديمة الجامدة .

والفضاء الدلالي ينشأ في النص الشعري من ترابط وانسجام بين:

البنية الصوتية - متعلق بالجانب الصوتي للنص - والبنية المعجمية- نعني بها الجانب اللفظي - والبنية التركيبية- تتعلق بالجمل والتراكيب - ويضاف إلى هذا الجانب الطباعي.²

¹ - المرجع السابق، ص23-24.

² - المرجع نفسه، ص25.

3/ المصطلحات المقاربة للمكان :

أ- تعريف الفضاء : (ESPACE- SPACE)

تبعاً للدراسات النقدية الحديثة المتفرقة عن المكان، والتي كانت كافية لظهور مجموعة من المصطلحات، فكان من أبرزها مصطلح "الفضاء" هذا الأخير الذي يتداخل في الكثير من الأحيان مع مصطلح المكان.

الفضاء هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال، وبقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء، بل يمكننا القول : إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء أساسياً.¹

يخترق (الفضاء) حياة الإنسان، ويحس بكينونته ، أينما حل ، ويلقي بضلاله أينما ولى وجهه، إنه يعيش فيه ومعه ولا شيء في هذا منفصل منه، ومتحرر من رقبته ولا يوجد لأي كائن دون فضاء يحويه ويلفه.²

فالفضاء (كعالم شاسع منظم تجتمع فيه القوانين وتتنظم فيه الكائنات والأشياء بقدر ما يتعامل الإنسان مع الزمن حيث لا يكون تفاعل الإنسان مع الزمن وفق هذا النظام إلا من خلال الفضاء الذي تنتظم فيه الموجودات).³

وعليه ، للفضاء قيمة وميزة تجعل الإنسان يرتبط به ارتباطاً وثيقاً دونما تحيز لأنه يمارس فيه جميع تفاعلاته البيولوجية والحياتية ، ويضمن من خلاله الإستمرارية.

¹ - حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية (دراسة نقدية) ، ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان، 2000م، ص32.

² - نصيرة زوزو، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، جامعة محمد خيضر ، بسكرة- الجزائر ، جانفي 2010م، ص3.

³ - المرجع نفسه، ص4.

أ/ الفضاء في اللغة:

تعددت المعاجم التي تناولت مصطلح "الفضاء" من المنظور اللغوي، حيث نجد ابن منظور يعرفه في معجمه "لسان العرب" بأنه من الفعل (فضا: الفضاء ، المكان الواسع من الأرض، والفعل فضا يفضو فضوا فهو فاض.

وقد فضا المكان وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه والفضاء: الخالي الفارغ الواسع من الأرض).¹

وفي (تاج العروس) ينصرف المعنى إلى الإتساع أيضا، (الفضاء : الساحة وما اتسع من الأرض ، حيث يستشهدون في ذلك بقول الراغب: المكان الواسع، وقول شميز: هو ما استوى من الأرض، واتسع وقول أبو علي القالي: الفضاء السعة، ومنه المفضاة والمفضى: المتسع).²

هذا يعني أن الفضاء هو كل مكان واسع من الأرض.

ب/ الفضاء في الاصطلاح:

بدأ الجدل حول وجود الفضاء في العالم القديم مع "طاليس" الذي (خلص إلى أن المادة الأساسية في الكون هي الماء ، وقد اقتفى "هيراقليطس" أثر الأفكار التي أتى بها "طاليس" ، إلا أنه صرح أن النار هي "المادة الأساسية" وبهذا المعنى يمكن إقامة تمييز بين المكان والفضاء ففيما يعتبر "المكان" الحدود الحافة بموضوع محتوي ، يعد "الفضاء" الحدود الداخلية للوعاء المحتوي، قد يزول مكان الشيء لكن فضاءه لا يمكنه ذلك،

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص194.

² - مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج20، ص51.

وبحسب "أرسطو" في "الفيزياء" ، قد تحتل الشخصية دائما فضاء، غير أنها لاتحتل نفس المكان دائما).¹

كان مصطلح الفضاء في بداية ظهوره مصطلحا أدبيا غير واضح مفتقر إلى معرفة نظرية عميقة، إلا أن كتابات الألمانين "مايبر" و"هنري ميثران" أسهمت إلى درجة كبيرة في تقريب الأسس الجمالية لمصطلح الفضاء باعتباره مصطلحا نقديا قد يعني النقد خاصة ما يتعلق منه بالأعمال السردية، كما كان للشعريين اهتمام كبير بهذا المصطلح حين طوروه في أبحاثهم، وأعمالهم النقدية خاصة في دراسة الفضاء الروائي.

وفي بداية الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي أسهم الفرنسيون بقدر كبير في تطوير البحث في هذه المسألة خاصة جورج بولي- أما كتاب "باشلار" " la poétique de l'espace" ، فإنه يعد أهم ما ألف في هذا الموضوع ، وكل المصطلحات الغربية الوافدة إلى وطننا العربي.²

أما الفضاء الروائي، فهو مثل المكونات الأخرى للسرد، لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي يختلف عن الأماكن التي ندركها بالبصر أو بالسمع كما في المسرح أو السينما، وتشكله من الكلمات يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها، وعندما تكون الألفاظ قاصرة عن تشييد فضاءها الخاص، فإن ذلك يدعو الراوي إلى تقوية سرده بوضع طائفة من الإشارات وعلامات الوقف في الجمل داخل النص المطبوع.

¹ - محمد الزموري، شعرية الفضاء في القصة القصيرة ، مطبعة آفرو-برانت، فاس، 2010م، ص 07.

² - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 1431هـ/2010م، ص 123.

وبهذا تكون نتيجة الالتقاء بين فضاء الألفاظ وفضاء الرموز الطباعية خلق فضاء جديد هو الفضاء الموضوعي للكتاب، وهكذا أصبح لدينا فضاءان: الفضاء الروائي (المظهر الحكائي)، والفضاء الطباعي (الفضاء النصي).¹

وعليه، ينبغي الإشارة إذن إلى (أن الفضاء الروائي هو عبارة عن مجموعة من العلاقات التي تقوم بين الأمكنة، الوسط، الديكور، الحدث الروائي، والشخصيات...)².

وتبعا لتنوع الأمكنة والفضاءات في الأعمال الحكائية المختلفة، صار من الصعب حصرها لتعددتها وتنوعها، وهذا ما جعل الدارسون يختلفون في معاينة تجليات الفضاء.

فثمة (مفاهيم تختلف عن بعضها اختلافاً بيّناً، يعود في الغالب إلى اختلاف زوايا النظر إليه من قبل النقاد. غير أنه يمكن تقسيم الفضاء إلى ثلاث أقسام رئيسية هي: **الفضاء الجغرافي** الذي يبرز المكان بوصفه إطاراً جغرافياً للحدث الروائي، **والفضاء الدلالي** الذي ترتبط دلالاته برؤية الكاتب، إضافة إلى **الفضاء النصي** الذي يهتم بالتشكيل النصي الطباعي).³

الفضاء من المصطلحات النقدية التي دخلت عالم الدراسات والبحوث حديثاً، وفرضت نفسها بقوة، بعد أن أهملت سابقاً بسبب انصراف النقاد والباحثين إلى التركيز على عناصر أخرى كالزمن، والشخصيات والأحداث...

ويعد الفضاء عنصراً أساسياً من عناصر النص الروائي، وقد أدرك ذلك شلة من الباحثين بعد الحرب العالمية الثانية، فأولوه اهتماماً لائقاً... فالفضاء ليس فقط الذي تجري فيه المغامرة المحكية ولكنه أيضاً أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها.⁴

¹ - محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي دراسة في نقد النقد، ص 184.

² - حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص 44.

³ - يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص 75.

⁴ - المرجع السابق، ص 123.

وقد اهتم به الكثير من الباحثين مثل **حميد لحميداني** الذي خصص في كتابه (بنية النص السردي) فصلاً موسوماً بالفضاء الحكائي ، تطرق فيه إلى مستويات البحث النظري في موضوع الفضاء.¹

كذلك نجد الباحث **حسن نجمي** من الذين تبناوا المصطلح، ويرى أن الفضاء الروائي ليس مجرد تقنية أو تيمة أو إطار للفعل الروائي، بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية، ثم يقر بأن أي إلغاء له إنما هو قمع لهوية الخطاب الروائي.²

إن مصطلح « space » هو (الجزء من الكون الذي يكمن خارج مجالنا، والذي تكون فيه الكثافة النوعية أوطأ ما تكون بالقياس لمكاننا الأرضي).³

والفضاء "space" في الشعرية ليس فقط هو (المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية، ولكنه أيضاً أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها).⁴

إن للفضاء "أهمية في تشكيل الفرد لأحاسيسه وانفعالاته منذ مراحل المبكرة، ومن هذا الارتباط يبرز الوعي والإحساس عند الفرد بالانتماء إلى الفضاء المحدد".⁵

كما أن الأهمية الكبرى للفضاء "تكمن في تأسيس الحدث والشخصية والزمن...، لذلك نجد أن إختيار الأمكنة في العمل الروائي لا تكون إعتباطية أو جزافية ، إنما هي

¹ - حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص53.

² - حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل، ص59.

³ - طاهر عبد المسلم، عبقرية الصورة والمكان التعبير-التأويل- النقد ط1، دار الشروق ، عمان- الأردن، 2002م، ص23.

⁴ - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص123.

⁵ - سعيد يقطين ، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 1997، ص 24.

ذات تحديد دقيق، إذ أنها المكون الرئيسي في العمل السردى، فلا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال أهميتها ودورها فيه".¹

وما يمكن قوله في الأخير هو أن الفضاء أحد عناصر البنية الحكائية، مكانته مثل مكانة الشخصيات والأحداث والزمان ، بل لولاه لما تحركت الشخصية الواحدة داخل العمل السردى ، إلا أن جمالياته لا تتحقق إلا من خلال اللغة التي تمثل خصوصيته النصية.

ب/ تعريف الحيز:

ظهر مصطلح جديد إلى الوجود، تداخل في كثير من الدراسات مع مصطلح "المكان" و"الفضاء" بل هناك جمعا من الدارسين فضلوا استعماله كبديل للمصطلحين السابقين، ألا وهو مصطلح "الحيز".

نجد عبد المالك مرتاض من الذين استحسنوا مصطلح الحيز على نظيره الفضاء، فيقول : (الحيز عالم دون حدود، وبحر دون ساحل ، وليل دون صباح ، ونهار دون مساء ، إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات، وفي كل الآفاق).²

ويفهم من هذا القول، أنه عالم -الحيز- واسع مفتوح على كل الإتجاهات ولا تحده أي حدود. كما يصرح أن (الفضاء قاصر بالقياس إلى الحيز ؛ لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفرغ، بينما الحيز استعماله إلى الوزن والثقل والحجم والشكل...).³

¹ - نادية بوشفرة: معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردى، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دبط، 2011م، ص121.

² - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص135.

³ - المرجع السابق، ص121.

فهو يشير إلى مجال مفتوح خال من المعالم المحدودة ، فيترك الخيال مفتوحا على مساحات تكاد تكون وهمية، وهذا معاكس للحيز الذي بدل على مكان واضح المعالم والحدود ويشغله جسم له كتلة ووزن وشكل.

إن تحديد مفهوم الحيز (إنما يكون ركحا على اشتراط وجود أقسامه الخارجية، بل هو إن لم يتضمن أقسامه الداخلية، لا يستطيع أن يكون حيزا ، فليست الصورة الخارجية، أو الشكل الخارجي لجسم الإنسان إلا صورة مصغرة لما وراء ذلك في داخل جسمه من أجهزة في غاية الكمال والدقة والتعقيد ، فالحيز الداخلي إن صح مثل هذا الإطلاق لجسم الإنسان، هو الذي يتحكم في كثير مما يظهر من الشكل الخارجي).¹

إن طبيعة الحيز تفرض وضعها على توزيع أجزاء الخطاب ، بحيث أن القصيدة العمودية تقوم في هندستها على تحيز ، ثم بياض ، ثم حيز في سطر واحد يتكرر إلى نهاية أبيات القصيدة أما هذا الحيز فإنه يتغير في قصيدة التفعيلة فيتخذ له أشكالا أو أحجاما مختلفة في كل سطر إلى نهاية القصيدة.

للحيز مظاهر يمثل فيها، (منها المظهر الجغرافي الذي يتمثل فيه المكان في أشكال متعددة ؛ الجبال، السهول، الهضاب، الوديان، الغابات، القلاع، الصحاري والكهوف . كما قد يكون ضفتي نهر جانبي واد أو شاطئ بحر...أما المظهر الخلفي للحيز فيمكن أن نطلق عليه "المظهر غير المباشر " بحيث يمكن تمثّل الحيز بواسطة الكثير من الأدوات اللغوية، غير ذات الدلالة التقليدية على المكان مثل الجبل، الطريق، البيت،...أي التعبير عنها تعبيرا غير مباشر مثل القول: دخل، خرج، سافر،...فهذه الأفعال عبارة عن أحياز تحيل على عوالم لا حدود لها).²

¹ - عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة بوزريعة-الجزائر - ، 2007م، ص299.

² - عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 123.

وللحيز أهمية كبيرة وأدوار متميزة ، نجد عبد المالك مرتاض يذكرها محاولاً التمييز بين المكان والحيز ، فيقول (وإذا كان للمكان حدود تحده، ونهاية ينتهي إليها، فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء، فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطربه كتاب الرواية فيتعاملون معه بناء على ما يودون من هذا التعامل، حيث يغتدي الحيز من بين مشكلات البناء الروائي كالزمان واللغة...).¹

ومما سبق ذكره ، فإن آراء بعض النقاد والدارسين، قد تباينت حول مفاهيم الفضاء والحيز والمكان، غير أننا نصل إلى تحديد مفادها أن هذه المصطلحات تحمل دلالات متقاربة مع وجود اختلافات طفيفة تتعلق بالشمولية والخصوصية، باعتبار الفضاء أوسع من هذه المفاهيم والمكان أضيق من الحيز.

هذا الأخير يضم ما هو مادي وما هو خيالي، ومع ذلك يمكن النظر إلى هذه المصطلحات على أنها تصب في وعاء واحد.

¹ - المرجع نفسه، ص125.

ج/ إشكالية الفضاء والمكان:

لقد شاع بين الدارسين في مجال تناول المكان في النصوص الأدبية، خلط بين مصطلح الفضاء والمكان. هذا الخليط ناتج عن الاختلاف في الترجمة الغربية لمصطلح « space » ، ، « Espace » فلم يتعامل النقاد الغربيون مع مصطلح "المكان" إلا عرضا بل شاع عندهم مصطلح "الفضاء" إذ يعنونون به كتبهم ومقالاتهم ، أما العرب فلا يصطنعون مصطلح "الفضاء" في كتاباتهم النقدية بخاصة، إنما يحتل مصطلح المكان عندهم مقاما طباعيا أكبر.¹

يقول الأستاذ محمد برادة في هذا السياق أنه: (قد يكون من بين أسباب استمرار استعمال المكان بدلا من الفضاء في الخطاب العربي، هو الالتباس الذي اقترن بترجمة كتاب غاستون باشلار إلى العربية " la poétique de l'espace " تحت عنوان محرف هو " جماليات المكان " غالب هلسا).²

ذلك أن معظم الدراسات المعنية بالمكان في السياق الأدبي مستندة بالكلية إلى مقارنة غاستون باشلار ولا تخرج عنها.

حيث نجد الفضاء الشعري واحدا من أهم المفهومات التي برزت في الدراسات الحديثة، وحظي بالإهتمام المتميز من الباحثين، لأنه يتناول الكل النصي من مختلف مناحيه، مما يؤدي إلى إظهار خبايا النص وغاياته وتطور دلالاته خلال الأزمنة المختلفة،

¹ - نصيرة زوزو ، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، جامعة محمد خيضر -بسكرة- الجزائر، جانفي 2010، ص4.

² - حسن نجمي ، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية (دراسة نقدية)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص43.

إلا أنه تبلور من بين الأفكار والآراء المختلفة في نهاية المطاف إلى الإجماع على وجود عنصرين أساسيين يتشكل منهما الفضاء هما: المكان والزمان فهما يشكلان معا الفضاء.¹

في حين يمثل المكان مستودعا للذكريات ، ويظل يوحي للإنسان بالفعل المبدع ويمده بالشحنات النفسية والوجدانية ويؤجج المشاعر في قول الشعر لعله يعيد له شيئا من التوازن.²

والمكان يعتبر المكان الأليف هو البيت الذي ولدنا فيه كما يقول باشلار وأن المكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة، ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور...³، والفضاء عنده يدرس من خلال القطب العمودي الذي تستطيع بواسطته رصد الفضاء (القبو) و(المخزن) وعلى هذا الأساس ؛ فإن رصد علاقات هذه التقاطبات تسمح بتشخيص سيرورة محورين لظاهرة التخيل.⁴

فلا نستطيع التمييز بينهما لأن النص بجماليته وشاعريته لا يمكن أن يصير مكان أو فضاء فقط، بل هو لغة قبل كل شيء.⁵

¹ - مثني عبد الله المتيني ، حركية الفضاء في الشعر الأندلسي نصوص ابن زيدون الشعرية انموذجا، ط1، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان ، 2013، ص.

² - محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، مصر، 2007، ص89.

³ - غاستون باشلار، جماليات المكان، ص6.

⁴ - محمد زموري، شعرية الفضاء في القصة القصيرة، مطبعة أنفو- برانت 12 شارع القادسية، فاس، المغرب، ص17.

⁵ - عبد العزيز لخضر، جماليات المكان في رواية امرأة عند نقطة الصفر لنوال السعداوي، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر، 2003، ص36.

4/ أهمية المكان:

مما يؤكد أهمية المكان في العمل الفني، كيفية تصوير العمل الفني لمكان الألفة فهو يرمي إلى إعادة خلق الواقع وتشكيله من جديد ، فالمكان الشعري يعيد خلق صورة مكان الألفة ويزيد من سطوعها وتعميقها حد انفصال الشاعر نفسه من مكان القصيدة الشعرية.

وكذلك يبدو أثر المكان واضحا في العمل الفني من خلال إشغال العمليات الحسية والإدراكية لدى ملتقى العمل، فكانت النتيجة الخروج من السطح والإبحار نحو الأعماق وهذا ما يؤكد عبد القادر الرباعي في حديثه عن التشكيل المكاني قائلا: " إن التشكيل المكاني الشعري قد منح حواسنا القدرة على الإدراك الحسي الذي تجاوزنا به سطوح المواد المتجمعة إلى الأعماق البعيدة المفتوحة على اللامحدود من الأمكنة".¹

يكتسب عنصر المكان أهمية في الدراسات الأدبية جعلت غالب هلسا يقول في مقدمة ترجمته لكتاب " باشلار" بأن (العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته).²

كما أن للمكان في العمل الأدبي وظيفة أخرى في إغناء الأوصاف والصور الأدبية، بشرط أن يكون النقل البصري فيها نقلا جماليا مشحونا بالمعاني، تترادف بداخله الحقائق والخرافات فتتشظى فيه الدلالات حسب الفن، الذي يندرج فيه، وينقل بذلك المكان الواقعي إلى مكان أدبي من خلال العلاقات المكانية القائمة على اللغة، بين الذات الواصفة أو المؤلف، والحدث الموصوف.³

¹ - بدرنايف الرشدي، صورة المكان في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير. جامعة الشرق الأوسط، 2011-2012م ، ص 43..

² - غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 6.

³ - غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، ص 249.

فالمكان لا يعتبر عنصرا زائدا في العمل الأدبي، بل قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله، كما يعتبر "حميد لحميداني" أن تحديد المكان لا يؤدي دور الإيهام بالواقع فقط عندما يصور أماكن واقعية، بل يخلق أيضا أمكنة متخيلة تؤدي الدور نفسه وتمارس على القارئ تأثيرا مشابها رغم واقعيته الفعلية، فرأي "هنري متران" صحيح إذا ماتعلق الأمر بالكتابة الروائية الواقعية التي تكسب جزءا كبيرا من واقعيته من هذا التجسيم المكاني للمشاهد.

وبذلك تخطى المكان وظيفته الإيهامية التي تنحصر في الإيهام بالواقع ، من خلال تأطير الأحداث إلى وظائف أعمق، من شأنها أن تحدد جنس الكتابة النصية وطبيعتها واتجاهها في كثير من الأحيان.

يمكن القول بأن المكان يشكل عنصرا مساهما في العمل الأدبي وهو أساسي ومهم في نفس الوقت، لذلك كان مجال الإهتمام في مختلف جوانب الدراسات ومهما كان هذا المكان متشابها وملازما للواقع إلا أنه يبقى مكانا متخيلا من طرف الكاتب. فأهمية المكان في النص الأدبي ليست في ذاته وإنما بما يؤديه من وظائف يسخرها الأديب لخدمة مبتغاه.

الفصل الثاني :

دلالة المكان في قصيدة

«تحية البعثة الميزابية لجلالة الملك تيمور

بن فيصل».

1 / تنوع الأمكنة ودالاتها :

أ- المكان الديني والطبيعي

2 / المكان وتحولات الدلالة :

أ- أنسنة المكان (البحر، النجوم).

ب- صورة الأرض

3 / جماليات المكان :

أ- الصورة المكائبة

ب- الواقع و الخيال

1- تنوع الأمكنة ودلالاتها:

للمكان نكهة خاصة تولد في الشاعر إحساسا مميزا، و تزوده بطاقة تعبيرية هائلة، فهو المنطلق في القول الشعري، والعنصر الجوهرى في التجربة الشعرية.

ترى فتيحة كحلوش أن المكان الشعري في نوعه الجغرافى هو الذى يجعل من النص الشعري نصا مكانيا، إذ يندرج ضمن هذا النص ليتحول إلى حيز للتجربة الشعرية، تجربة تأتي من خلال وجهة نظر الشخصية التي تعيش فيه؛ وفي الشعر شخصية الشاعر، ذلك لأن المكان غير مستقل عن الإنسان، فهو مرتبط بالفعل والعواطف الإنسانية.¹

واتصف المكان بعدة صفات واقترن بأحداث كثيرة لذلك شغل العديد من المفكرين والأدباء، حتى أصبح فيما بعد مرآة تعكس الصدى النفسى للشخصية، حيث يتمثل - دلالة و تركيبا - مع ما يحتمل في أعماقها.²

وارتبط المكان بالعمل الأدبي أشد ارتباطا؛ فإذا غابت المكانية يفقد خصوصيته - العمل الأدبي - و بالتالى يفقد أصالته.

إن فاعلية النص المكاني المرتبط بالمفهوم القومى، شكل محورا واسعا عند مفدى زكرياء، فتداعت أنماط الأمكنة العربية المختلفة في شعره، فشكلت مادة شعرية غنية في متخيله، وهذا لغناها بالمدن والأمكنة العربية.

¹ - فتيحة كحلوش، بلاغة المكان، ص 141.

² - محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي، ص 63.

لذا تعددت الأماكن العربية في شعره، مشرقاً ومغرباً، بين زائر لها ومكث فيها والتي تعرف بواسطة مخياله الشعري من خلال ما ذكرت ووصفت به.¹

عندما يريد شاعر ما مدح من يستحق منه ذلك، فإنه يستحضر ابتداءً بيئته الطبيعية؛ من بداوة وأطلال، وأخلاق حميدة فاضلة، كل ذلك يدفع الشاعر إلى نظم قصائد المدح والثناء، فتملاً قصائده الآفاق وتتناقلها الأجيال عبر الأزمنة والعصور.

فيبدأ الشاعر بالمزج بين تلك الأماكن وشخصية الممدوح، لأن (إثارة الشعور والإحساس مقدمة في الشعر على إثارة الفكرة).²

والمكان الطبيعي يتجسد من مظاهر تكوينه التي (تتسم بالسعة والامتداد والارتفاع والانبساط والشدة).³

وانطلاقاً مما ذكرنا يتضح لنا كيف استطاع شاعرنا مفدي زكرياء أن يبرز بشكل واضح وهو يشيد بـ (عمان)، عمان الحضارة والدين والإنسانية، والجمال والجلال، عمان الأصالة والعروبة.

وكل ذلك يبرز من خلال قصيدته عنوان بحثنا " تحية البعثة الميزابية لجلالة الملك تيمور بن فيصل" يشيد فيها برموز المنطقة في مطولته.

أ/ المكان الديني والطبيعي :

جَدَّ الهَوَى بعدما كان الهوى لعباً و اهتزت الروح من بعد العنا طرباً
خُذِ الكواكب أكواباً، وصُبَّ بها من السلاف على طبق السَّما ذهباً

¹ - حجاب عبد اللطيف، دلالة المكان في شعر مفدي زكرياء مخطوط شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة الجزائر 2، 2013-2014، ص 81.

² - محمد غنمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة و دار العودة، بيروت، 1973، ص 376.

³ - محمد عبيد صالح السبھاني، المكان في الشعر الأندلسي، ص 64.

وعانق الكون حباً، والجمال، وضع
وامتد عطفاً على يمنى الطبيعة في
والموج يبدو بأثواب مفضضة
والشمس صفراء في مرفأ الوداع بدت،
هناك حيث الدجى يبدو على بعد
تبدو السما والثريا فوق مفرقها
قوم بنوا للعلا بيتاً، تخر له
« فلو تلووت على ميت مناقبهم
« أرض مع الله عين الشمس تحرسها »
فإن تغب أرسل الباري لها شهبا¹

بروح رومانسية ونبضات روحانية تنطوي على سمات العشق والحب والتعلق بهذا
الفضاء وقديسيته وانبثاقه في نفسية الشاعر أن يشيد بهذا السلاف من الأجداد، فتصير
الكواكب أكواباً والسما طبقا من ذهب في وجودهم وحضرتهم.

وتبدو النظرة الدينية لما يتحقق الرضى مع تعانق الحب، والجمال في الكون ...
فالعلاقة الوجدانية ظاهرة بصورة مطلقة بين الشاعر وأهل المكان.

إن هذه المقدمة تحيلنا إلى علاقة رومانسية روحية تنبئ عنها مضامين النص
الشعري، وهي تشكل بذلك نوعاً من التناص الشعري لنوعية المقدمات الشعرية وشكلاً من
أشكال التوسع في المعنى من خلال الخروج عن المؤلف المعتاد، حيث تصبح العلاقة
بين الشاعر والمكان علاقة ارتباط وثيق تصل إلى درجة اللذة والتكامل، (فالإرتداد إلى
الماضي واستحضاره من أكثر الظواهر فعالية في عملية الإبداع، حيث يحدث تماس

¹ - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص 44-55.

يؤدي إلى تشكيلات تداخلية قد تمثل إلى التماثل أو التخالف، وفي ذلك يكون للنص الجديد موقف محدد إزاء هذا التماس).¹

وحين يلتفت الشاعر إلى أرجاء المكان بروح شاعرة جمالية متميزة، تظهر الذات بموروثها الثقافي والحضاري، حين تبرز جماليات (مسقط) المكان المتعددة المتنوعة رائعة الحسن والبهاء، المتلونة بألوان الطبيعة الزاهية البديعة من (جنان وموج ومنظر المرفأ وقت المغيب).

إنه يعرض لوحة فنية غاية في الروعة والجمال، تجسد المكان حيث ينقلب السمع بصرا على حد قول (ابن رشيق) في الوصف البديع للأشياء.

ويعرض كذلك صورة الليل وظلامه فوق، سماء مسقط، و في تمثله كأن السماء ونجومها تشكل تاجا على رأس (تيمور) وهي إشارة واضحة دالة على الارتباط الديني بين الشاعر والمكان ، إذ يهبه نوعا من القداسة والتبجيل، ناشرا من خلاله دلالات الروابط التراثية والدينية في شكلها والجمالي والحضاري الذي انفردت به المنطقة.

ولإبراز هذه الخاصية الدينية للمكان، نراه يمدح أهلها بأسمى المراتب والمنازل وأقدسها، في قوله:

قوم بنوا للعلا بيتا، تخر له شهب السماء على هاماتها أدبا²

فإن لهم من الكرامات والمناقب ما يقارب مكانة الأنبياء - عليهم السلام - والأولياء الصالحين، إنه يبرزها في أشكال تناسية مميزة، يسترجع من خلالها الدلالات والرموز الدينية ذات العلاقة بالتراث الديني الإسلامي على وجه العموم، (وإذا كانت ظواهر التناس تتصل بالنص الأدبي على وجه العموم، فإن اتصالها بالنص الشعري له

¹ - محمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995، ص 163، نقلا عن: حجاب عبد اللطيف، دلالة المكان في شعر مفدي زكرياء، ص 93.

² - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص 19.

خصوصيته، إذ من خلالها تصبح الإنتاجية الشعرية تمثلاً واستعادة لمجموع النصوص القديمة في شكل خفي أحياناً، وجلي أحياناً أخرى، ذلك أن المبدع لم يتم له النضج الحق إلا باستيعاب ما سبقه في مجالات الإبداع المختلفة¹.

وهذا ما نقف عليه لدى الشاعر مفدي في عملية الاستمداد التي اعتمد عليها في توظيفه كالتراث، إذ وظف بيتين للشاب الظريف* في قوله:

« فلو تلوت على ميت مناقبهم رد الإله له الروح الذي سلبا² »

وقوله أيضاً:

« أرض مع الله عين الشمس تحرسها » فإن تغب أرسل الباري لها شهبا³

يحدث الانزياح في الخطاب الشعري لما ينسجم وطبيعة الظروف والسياق الذي يرد فيه وهذا ما يؤدي إلى تحويل النص الغائب من سياقه الطبيعي ليصير جزءاً من البنية الحاضرة.

يصور لنا الشاعر في قصيدته الميزات التي انفرد بها الملك (تيمور) من فضائل وصفات أهله لأن يكون سيفاً بتاراً على الظلم وساعده في ذلك عدله واستقامته البارزتان للعيان، فقد مثل الآباء والأجداد ليكون خير خلف لخير سلف مضى من الأعظم.

لينتقل ويذكر ما قدم شعبه من غال ونفيس وضحوا بكل ما يملكون من أرواح وجهود وعلم - وهذا بإقرار الشاعر - وذكر دائم في كل وقت، غير مبالين بما يعترضهم من مصاعب، بل يقابلون كل ذلك بالصبر والتحمل والعزيمة، وهذا كله في سبيل الدين والعروبة، ويمثل ما ذكرناه قول الشاعر:

¹ - ينظر: محمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، ص 163.

* - الشاب الظريف؛ محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، شمس الدين (661هـ-688هـ/1263م-1289) شاعر مترقق، لقب بالظريف لرقته و طرافة شعره .

² - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص 26.

³ - المرجع نفسه، ص 50.

سيف صقيل بكف العدل منصلتا، إذا انجلي فرّ منه الظلم و احتجبا
 إن جال كبرت الهامات قائلة: الله أكبر، سيف الله قد غلبا
 سلالة العزّ من قوم غطارفة، و المجد قدما إلى أبوابه انتسبا
 ابن الأعظم أبناء الأعظم، آ باء الأعظم، [أكرم] ذلك النسبا
 و مهدوا من ضحاياهم نفوسهم إلى الحياة، فأحيوا الدين و العربا
 يحيون تحت لواء الله مذ خلقوا ما ظلهم علم للأجنبي إبا¹

ما أروع الخطاب الذي خاطب به الشاعر بني (عمان) معترفا لهم بحيازتهم صفتين عظيمتين أكرم بمن نالهما (الشجاعة والعلم) وكفى بهما فضائل وحسبهما أخلاق، ترفع صاحبها الدرجات السامية من خلال ما يعرف به المتصف بهما.

فلم تقبلوا بمنزلة أدنى من المعالي، هدفا وغاية، فكانت المكافأة عظيمة من رب العالمين أن حماكم وأرضاكم لما أرضيتموه من خلال نصرته نبيه صلى الله عليه و سلم- والدفاع عن دينه وهو جزاء من جنس العمل، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾².

إن الحرب سبيل إلى السلام حامية له بكل وسائلها المختلفة في كل زمان ومكان، فخلقتكم وكنتم نعم الخلف -لمحمد- كلما حاول أحد طمس دينه ورسالته، فكانت نهايته خسرانا مبينا، بأن قبض الله تعالى أسده (تيمور) حاميا لقرانه، حارسا له، كما صانه وحفظه من قبل ، وكذلك فيما يستقبل من الأيام والأزمان، كما جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾³.

¹ - المرجع السابق، ص 45-46.

² - سورة محمد، الآية 07.

³ - سورة الحجر، الآية 09.

هنيئاً لك يا (عمان) النخوة والعزة والشرف بما حباك الله بنصره حين ظهر (تيمور) حاملاً لواء الجهاد في سبيل الله، وتحققت هذه القوة العظيمة بعدما أدرك (العمانيون) أن قوتهم في اتحادهم وليس أبداً في فرقته واختلافاتهم .

وكم كانت للظروف الصعبة التي مر بها (العمانيون) دور في تحقيق هذه الوحدة، إن هذه المحنة جرت معها منحة تمثلت في الوفاق والاتحاد، تماماً مثل الدواء المر الذي عنه الشفاء من الأمراض.

الخسران والهلاك سبيل كل من يجرؤ على الانتقاص من كلام الله تعالى، أو إذلالاً لأهله، إن الأيام دول، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾¹

¹ ﴿

فإذا كان للباطل جولة فإن للحق صولة ودولة ولا ينبغي أن يغيب ذلك عليكم أيها (اللوردات*) المتغطرسون فانه عليم مطلع على أعمالكم نحو الشعب العماني العزيز على كل مسلم.

ولما غابت عنكم هذه الحقائق أو تجاوزتموها متعمدين كانت نهايتكم الهلاك والخروج خاسئين، وهو نهاية كل ظالم مبين.

ويمثل ما ذكرناه قول الشاعر:

خلفتم لحماه عن (محمده)	(محمدا) كلما هموا به وثبا
ليث الإله على القرآن يحرسه،	أولى له الله نصرا أية ذهباً
تيهي (عمان) بنصر الله حيث بدا	(ليث الله) بـ(سيف الله) مصطحبا
تبت يدا قوم (لندن)، يا أبالسة،	تسعى لجعل بني القرآن أيد سبا
انهض بأعباء ذاك الشعب متحدا	يكفي الذي في حمانا - الدهر - قد لعبا

¹ - سورة آل عمران، الآية 140.

* - اللورد: ج: اللوردات، لقب انكليزي، اللورد كروم، ستيد صاحب مقام رفيع في مجتمع إقطاعي.

و صن هنالك عرشا كان يصعده **آبـأؤك الغـر**، فاجتازوا به الرتبا¹
 إن عملية الاستحضار والتقريب بين النصين الحاضر والغائب إنما تحقق ذلك من
 خلال اشتراك الثقافة والتصورات الدينية لدى كل شاعر، والتي يعمل على نشرها
 وتضمينها خطابها الشعري، وهذه الحقيقة فرضت لدى النقد الحديث، ووجدت اهتماما بالغاً
 عند النقاد، انطلاقاً من أن النص الذي لا يتسع لهذه الميزات والخصائص، نص عديم
 الجدوى، نص عقيم، على حد قول رولان بارت: (إنه نص بلا ظل، لأن النص الحقيقي
 في حاجة إلى ظله بشكل لازم).²

ونصوص **مفدي زكرياء** عموماً تدخل دائرة التناص الاقتباسي بشكل موسع، إذ
 نلاحظ تداخل النصوص الشعرية من التراث العربي، وكذا النصوص الدينية من قرآن
 وحديث، حتى السياق العام لنصوصه الشعرية قريب من بعض النصوص القديمة، إذ تكاد
 تسيطر عليه سيطرة كاملة، وهذا يعود ربما لتمسكه بالتراث وميله إليه ميلاً شديداً وما من
 شك في أن بنية الشاعر وطبيعة تكوينيه التربوي والديني لها دخل كبير وتأثير مباشر في
 تكوين لغته الشعرية.

فإن البيئة لا تؤثر في الموقف أو الرؤية وحدهما بل تتجاوز إلى التأثير في
 الصياغة الشعرية إلى حد كبير.³

عمان الحضارة والمجد التليد أدى بشاعرنا **مفدي زكرياء** - إلى استدعاء التراث
 الزاخر المتنوع، وزاده التقارب المذهبي (**الإباضي**) بينهما، بين المنطقة الأصلية للشاعر
 (**بني ميزاب**) والمكان المعروف بـ (**سلطنة عمان**)، حماساً وإقبالاً على جمع المعاني
 الدينية على المكان العماني، و كأنه يلقيها على بيئته نفسها، مرصعة بالقداسة والتبجيل

¹ - مفدي زكرياء، أمجادنا نتكلم، ص 47-50.

² - رولان بارت، لذة النص، ط1، تر: منذر عياشي، دار الوسيم للخدمات الطباعة، سوريا، 1992، ص 14.

³ - محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال و الثورة، ط2، جمعية التراث - العطف - (غرداية)، الجزائر، 1984، ص 106.

والتعظيم متعمدا في كل ذلك على ذات العلاقة الوطيدة بها، مصورا المكان وما يتناسب ورؤية شعرية بديعة، بما يفوق المكان الجغرافي إلى تشكيل روحي مشبع بالرفعة والسمو.

وإذا سلمنا بأن التناص مرتبط بالإقتباس، فإنه ولا شك كان له الأثر البالغ في استحضار مختلف عناصر الروحانية والقداسة وهو ما يدل على أن الشاعر قد نحا نحوه بدراية وتعمد كاملين دون عفوية أو اضطرار لذلك.

2/ المكان وتحولات الدلالة :

أ- أنسنة المكان : (البحر ، النجوم)

إنّ العلاقة بين الإنسان والمكان هي حقيقة، لا سبيل إلى الاختلاف حولها. علاقة موعلة في العمق . متعلقة بالبعد الوجودي للكائن، حتّى ليتمكن القول أن الإنسان كائن مكاني بامتياز ، ووعيه بحضور المكان وضروراته أشد عليه وأوطأ من الزمان. ذلك الوعي الذي خوله القدرة على التصرف في محيطه، في حدود الإمكان. لأنه بحكم طبيعته المادية المفارقة لتجريد الزمان. قريب المباشرة، لأنه مؤات للإقامة فيه وتنظيمه وفق ما تفرضه عليه حاجاته، يتأثر به ويؤثر فيه، وتزداد وشائج القرى والتلاحم به.¹

ليس المكان مساحة جغرافية ، يعيش فيها الإنسان وينتمي إليها فكرا وثقافة وأصالة، ويقيم بها روابط وجدانية متجذرة تنعكس على سلوكه وتصرفاته وتُقيّد أفعاله، وتنتشر على الدوام مبادئه وقيمه...

ومن هنا لا يمكن التعامل مع المكان باعتباره فضاء جغرافيا منفردا، لكون الوجود الحقيقي للمكان لا يتحقق إلا بالتفاعل الإنساني. فالمكان لا قيمة له ما لم يعمره الإنسان.

¹ - حجاب عبد اللطيف، دلالة المكان في شعر مفدي زكرياء، ص106.

ومن هنا يتجلى انعدام الفائدة في الأماكن غير المسكونة كالصحاري والجبال والخلاء، لا يتجاوز اعتبارها مساحات ومناطق جغرافية مبينة على خريطة العالم.

(فالمكان ليس مجرد معطى مادي تهيمن عليه الأبعاد الطبوغرافية وتحدده، بل هو حقيقة مادية ترتفع إلى حد الماهية المستندة إلى قيم الإحساس والوجدان، لأنه كينونة وجدانية تنشأ داخل الذات البشرية عندما نلتبس مع هذا الكيان الذي يتواشج مع ما ينطبع داخلها من انفعالات، حيث تتحول العلائق الوجدانية المكانية إلى قيم متفاوتة العمق والسطحية).¹

ويقول شوقي ضيف: (من أهم ما يميز الشعر في كل اللغات مادته التصويرية، فالشعراء لا يعبرون عن الحقائق كما هي، بل يعرضونها في شكل أشباح وأطياف تؤثر فينا هذه الأشباح والأطياف بأكثر مما تؤثر فينا الحقائق نفسها، إذ تراها مجسمة تحت أعيننا، فيزداد إحساسنا بها، ويزداد إدراكنا لها، ونشعر كأننا نتبع من داخلنا نحن، لا من داخل الشعراء، فالتلال والجبال والرياح والسحاب وكل ما فوقنا في السماء، و تحتنا في الأرض تحوله ملكة الشاعر الخيالية إلى صور حية، إذ تزح الستار المادي عنه وتكشف عن روحه وما يكمن وراء ظاهره فإذا كل ما يبصره جامداً أو ساكناً يتحرك بنفس إحساسنا ومشاعرنا. وكأنّ الشاعر يفرض علينا حياتنا الإنسانية فرضاً).²

أ/ البحر:

رغم تعدد المظاهر الطبيعية التي جلبت نظر الإنسان وفكره في استقراره وتنقلاته. يبقى البحر من أهم المظاهر التي شغلت فكره منذ القديم. فراح الشعراء يصفون جماله

¹ - عيد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، ط1، دار محمد علي ، للنشر ن، تونس ، 2003م، ص151.

² - شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ط10، دار المعارف ،مصر ،2003م، ص299.

وسحره، ويرمزون له بالامتداد والسعة، باعتباره فضاء لبوح المكبوتات وما يختلج الصدور من إعراض المقربين وتنكر المحبين، فهو قريب جديد، وجار أنيس.

فجمال الفضاء الطبيعي توغل في مشاعر وأحاسيس الناس، إذ تجلت مواهب الإنسان وتفننت عبقريته الفنية والأدبية، كلها تبرز تعلق الإنسان وارتباطه بإمكانته وفضاءاته. حتى غدا المكان مشكلاً مهماً من مفاهيمه الثقافية وقيمه الرمزية والعقائدية.

وقد تعدّى البحر عند شعراء الثورة دلالاته المعجمية، إذ اتسع معناه ليعبر عن دلالة الجار الوفي الذي يقاسم جاره الهموم والمآسي حيناً، والذاكرة التي تعاقبت عليها الأجيال حيناً آخر، وذلك عن طريق المجاز.

فالبحر نال حظه عند كثير من الشعراء قديماً وحديثاً، فمثلاً نجد الشاعر الكبير محمود درويش وقف عنده، مستمداً منه القوة والبأس والجبروت، حيث يتخذ رمزاً للثورة و العنفوان، فيقول:

لَوْ كَانَ لِي فِي الْبَحْرِ أَشْرَعَةٌ
أَخَذْتُ الْمَوْجَ وَالْإِعْصَارَ فِي كَفِي
ونومت العباب¹

وفي صورة أخرى يلصق الشاعر صفة العناق بقوله:

مَنْ ثَقُوبِ السَّجَنِ لَأَقِيتَ عَيُونَ الْبَرْتَقَالِ
وعناقُ الْبَحْرِ وَالْأَفُقِ الرَّحِيبِ²

¹ - مها داود محمود أحمد، دال البحر في شعر محمود درويش، رسالة مقدمة لإستكمال مستحققات الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011م، ص75.

² - المرجع نفسه، ص76.

فهو يجعل عناق البحر شيئاً محسوساً يلاقيه من ثقب السجن، ليحدث المسافة الجمالية بين ضيق السجن وعمته، وبين اتساع البحر وامتداده بين المعنيين المتناقضين يكمن اكتشاف الذات.¹

وفي صياغ آخر يخاطب الشاعر محمد العيد آل خليفة البحر على أنه الرفيق ويعتبره الأنيس فيقول:

يا بحر أنت أنيسي إن ضقتُ بالهم صدراً
حسبي جوارك إني أرى جوارك ذخراً

وورد لفظ البحر أيضاً بمعنى الذاكرة التاريخية التي اتسعت لأحداث جسام، مثلما يظهر من هذا الشاهد الشعري لـ أحمد سحنون:

فارو لي ما وعيت يا بحرُ واذكر كم عظيم على أديمك سارا
والحروب التي بمائك شبت والدماء التي جرت أنهاراً²

فالشاعر أنسن (البحر) وحوله إلى شخصية حية يبادلها الشاعر، (معنى ذلك أن الشعراء يجعلون من هذه المظاهر الطبيعية كائنات حية يمكن أن نحس ونشعر بها ونستشف ما يمكن وراءها من أسرار، وبالتالي فالشاعر يصف عليها صفات تنتقل من الجماد والسكون إلى الحياة والحركة).³

وفي الإطار الديني، وفي القرآن الكريم بالذات، يعرض البحر بمفهومه الحقيقي، ووفق الأحداث التي ارتبط بها. قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ

¹ - المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

² - وهيبة وهيب ، المعجم الشعري عند شعراء الثورة الجزائرية،- دراسة معجمية دلالية- محمد العيد آل خليفة- مفدي زكريا- أحمد سحنون (نماذج) ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في اللغويات العربية القديمة ، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان- الجزائر، 1435هـ/1436هـ-2015م/2016م، ص182.

³ - محمد عويد الطربولي ، المكان في الشعر الأندلسي ، ط1، مكتبة الثقافة العربية ، مصر ، 2005م، ص 31-نقلا عن عن : حجاب عبد اللطيف، دلالة المكان في شعر مفدي زكرياء، ص107.

وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ¹

وتخصيص البحر في الآية، لأنه من أعظم مخلوقات الله، أو لأنه أكثر ما يشاهده الناس ويتطلعون لعلم ما فيه. وعلم الله تعالى لما في البحر مثال محسوس مكمل للعظمة الحاصلة تحت قوله: ﴿وعنده مفاتيح الغيب...﴾².

وفي موضع آخر يظهر البحر على أنه مضرب المثل لسعة علم الله³، قال عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾⁴.

فذكر البحر يوحي بالدلالات الحاضرة عند المتلقي وتجعل منه صورة ذهنية معينة، بما أنه يمتاز بالسعة والامتداد والانبساط .

لذلك نجد أن القرآن الكريم ذكر من الصفات الأساسية والتي تترك انطبعا عند المتلقي، والإيحاء لما تكنه تلك الصفات الظاهرية من صفات حقيقية.

وقد وظف الشاعر مفدي زكرياء (البحر) في قصيدته [تحية البعثة الميزابية لجلالة الملك تيمور بن فيصل] للخروج من معناه الحقيقي المعروف بالرهبة والخوف والإغراء إلى معان أخرى ينزاح إليها.

فمن جماليات بحر (مسقط) تنوع ما يضيفه على محيطه، ما يزيده سحرا وروعة وجمالا ودلالا لا نظير له. ما أروع زيد الموج المتلألئ المتناغم على صفحات الماء كأنه أثواب تحركها الرياح اللينة حينا والعنيفة حينا آخر دون سأم ولا ملل وكلل...

¹ - سورة الأنعام، الآية 59

² - <http://www.islamiat.3abber.com> .

³ - <http://www.alukah.net/shaia/018603>.

⁴ - سورة الكهف ، الآية 109.

فخطابه للملك المفدى بقوله شيد وأقم وارفع صروح العلم وأماكن العافية والهناء والرفاهية. واقتحم مناحي الحياة وأغوارها وحلوها ومرها، وبجل أهل الفضل والذكر واعرف قدرهم فهم السند في السير بالوطن إلى الأمام دائماً.

لينتقل بعد ذلك في البيت الثالث، إلى الرجاء بقوله للملك واحم حماك دون غفلة من كل عاد، وارم في أتون الخزي إذا ما أراد لكم ما يسوءكم، ويثبطكم عن أهدافكم وغاياتكم النبيلة أبد الدهر.

من خلال هذا البسط لهذه الأبيات، أدركنا تجليات ودلالات كلمة (البحر)، فيها تنوعاً ودلالات مختلفة.

فهو يشير إلى الجمال حيناً والتنوع أحياناً، كما في البيت الأول:

والموجُ يبْدُو بأثواب مفضضة في مسرح الرقص مذلاً يشتكي تعباً¹
وهو (البحر) دال على الجهد المبذول، ما يساعد على مواجهة الحياة ومناحيها وتقلباتها، كما في قوله:

وابن المدارس والمستشفيات، وخض بحر الحياة، وعز العلم والأدب²
والأدب²

وقوله في البيت الثالث:

وضع على البحر أسطولا تصب به على العدو جحيماً كلما لعباً³
وهو يوحى إلى الأعداد المتنوع في سبيل التصدي لكل غادر دون غفلة أو تراخ.

¹ - مفدي زكرياء، أمجادنا نتكلم، ص44.

² - المرجع نفسه، ص49.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إنّ البحر متعدد الدلالات كثير الإيحاءات، اكتفينا ببعضها فقط، من خلال ثلاث أبيات وقع عليها اختيارنا بتعمّد رأينا أنها تصلح لأن نثبت بها ما رمينا إليه.

ب/ النجوم:

فتن الشعراء العرب بما حوته السّماء من جماليات، فحولوا ما فيها إلى أبيات شعرية. فامتدحوا السماء واحتفوا بالشمس والقمر، فجاءت كلماتهم تعكس جمال الكون بجمال النظم والحكي...¹

ولا يوجد شعر لا يتطرق ناظمه ولو بلمحة بسيطة إلى السماء وما تضمنه من مظاهر وظواهر تكون مادة إبداعه وإلهامه، يمزج بين مكونات الطبيعة من جهة، وما يجده من دلالات متشابهة تحاكي واقع ما تحمله هذه الظواهر من دلالات ورموز ومعان وحركة وثبات.

فقد اختلفت رؤية الشعراء للكواكب والنجوم بحسب وقعها في النفس، ولأسيما الشاعرية منها، وأضافوا عليها ما يختلج صدورهم وما تختزنه عقولهم من آراء وأفكار، تظهر ملكه الخيال والإبداع. وإسقاطها على تلك الطبيعة الصامتة بمظاهرها الحية، فضلا عن تأثرها بالموروث القديم ومنهل القرآن الكريم الذي لا ينضب.²

وإذا أردنا أن ندلّل على ما نقول، نجد مفدي زكرياء في قصيدته-مدار بحثنا- يذكر (السّماء) في أكثر من بيت، إجادة منه وقدرة على التخيل. وجعل السّماء بما فيها من جمال وجلال وعظمة، تميز (تيمور) وقومه، وتجعل من دلالاتها الرفعة والسمو إشادة بهم.

¹ - <http://www.sites.alriyadh.com>alyamamah>.

² - شيماء نجم عبد الله، نجوم السماء وكواكبها في شعر أبي العلاء المعري-الرؤية والتوظيف- مجلة كلية الآداب ، العدد 90، جامعة بغداد ، دت ، ص523.

وهذا يظهر من خلال استعماله لـ: الكواكب، النجوم، الشمس.. والتي من صفاتها الارتفاع والارتقاء والوجود عالياً.

وما يزيد القصيدة أنسنة استعمال شاعرنا (النجوم)، التي تظهر في تجليات أخرى، وتبرز عظمة خلق من مخلوقات الله تعالى العظيمة، وتوظيفها في مواضع مختلفة، تظهر تمكن الشاعر من جهة وقدرته على التصوير والإبداع من جهة أخرى.

فهو تارة يبرز من خلالها عظمة الملك (تيمور) وتودّد النجوم على جلاله مكانتها وبعدها وعظمتها إليه لتكون في تاجه، وهذا كما في البيت التالي:

يا من تودُّ نَجُومُ الأفق لو وُضِعَتْ في تاجه عوضَ الدَّرّ الذي نصباً¹
ويقول في آخر:

أعد إلى الدين مجداً كان مُزدهراً في عصر (جابر) حتّى نجمه غرباً²
دعوة صريحة من الشاعر مليئة بالأمل والتطلع إلى الغد المشرق، خلال مخاطبته للملك راجياً منه العمل الدؤوب دون كلل أو سأم، بغية إعادة مجد الدين الناصع كما بيّنه الأولون، السلف الصالح، من هذه الأمة، مخلصاً إياه مما لحق به من ضلالات وبدع، حتّى يسطع نجمه، الذي كاد أن يغرب بفعل الجهال والضلال.

إنّ تعريج الشاعر على (النجم) لتوظيفه يظهر دون شك إدراكه لهذا المخلوق، وما يحمله من معان مختلفة في هذه الحياة.

وتقول المعاجم العربية أن أصل النجم: الكوكب الطالع...، وقد ورد في معان مختلفة في القرآن الكريم، بمعنى أنه الجرم السماوي المعهود، ويكفي (النجم) فخراً أن أقسم الله تعالى في قوله: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾¹.

¹ - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص55.

² - المرجع نفسه، ص49.

وفي موضع آخر قال الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾.² وفي الآية هي النجوم المعهودة للناس في ظلمات البر والبحر وأكثر مجيء هذا اللفظ في القرآن الكريم على هذا المعنى.³

فأصبحت مظاهر الطبيعة رموزاً للحياة النفسية لأنها عود الثقاب الذي يشعل الروح الشاعرة، ويدفع بالينبوع الكامن في أعماق النفس إلى التفجر والتدفق، بقدر اتلافه مع الطبيعة واتصاله بموجودات هذا العالم يكون حظ الشاعر من التعرف على أسرارها. ويكون نصيبه من المتعة الروحية.

واكتفى الشاعر بأن تلعب الطبيعة دور الشريك الذي يقاسمه الكآبة والبهجة، من أجل المزج بين الشعور والوجود.⁴ وكل هذا يتوقف عند كل شاعر والغرض الذي يؤديه من خلال نظمه للقصيدة.

ب/ صورة الأرض:

تؤلف الأرض مجموعة مختلفة من الأمكنة والفضاءات التي أسست الوطن الخفي للقصيدة، حيث تختلط هذه الاختلافات بتصورات وتأملات شعرية تحتضن أبعاد المكان...

كما دلت ظاهرية (ظاهرة) الأرض على فضاءات البحر والصحراء والرمل والتراب والجبل والنهر وما إلى ذلك، فتوسعت هذه التضاريس إلى مختلف الموجودات، وعلى قدر توسع المكان في الإتجاهات المختلفة وتغيراته في كل ما هو حسي ومعنوي.

¹- سورة النجم، الآية 01.

²- سورة الأعراف، الآية 54.

³- [http:// www.articles.islamweb.net](http://www.articles.islamweb.net)

⁴- أحمد العياضي، القيم الجمالية في الشعر الجزائري المعاصر 1975-2000، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه علوم تخصص أدب جزائري معاصر، جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر، 2013/2014م الموافق لـ 1435هـ- 1436هـ، ص 165.

ومن الضروري التنبيه إلى أنه عند التعرض إلى أصول معاني ومفاهيم وتصورات الأرض، وصورها المختلفة في الشعر العربي الحديث نلاحظ ظهورها تمام الوضوح و(برزوا في موجات متلاحقة، أهمها جماعة البعث وجماعة الديوان وجماعة أبوللو، وجماعة الشعر المهجري وكذلك موجة الشعر الجديد، وقبل ذلك تناول الشعر العربي الأرض، وكان تناوله لها من خلال إطارات ثلاث، الأول إطار وصفي كما في شعر ابن الرومي والبحري، والثاني إطار غزلي عاطفي كما في شعر ابن زيدون، والثالث إطار الحنين إلى الأوطان كما في شعر علي الحصري).¹

احتوى الشعر العربي الحديث معاني وتصورات والأبعاد التي يمكن كإمتداد إنساني بكل تأثيراته وتأثيراته، التي وثقته وتوثقه بالأرض، كرابطة ثبات ووجود. وتتحرك هذه الروابط قريبا وبعدا، كما تحركها مشاعر الخوف من فقد الأمان والثبات في الوطن. لذلك تعامل الشعر العربي الحديث مع الأرض انطلاقا من تغيراته وتحولاته المختلفة.

لقد ثبت الشعر العربي القديم مئات النصوص لجماليات الفضاء والأرض والطبيعة، انطلاقا من المقدمة الطللية وانتهاء إلى رثاء المدن الأندلسية ، وكذلك الشعر الجاهلي من خلال مقدماته وثق بين المكان و الزمان والوجود، بواسطة تجربة ضياع الإستقرار، كما شد المرأة بالأرض. مستغلا تجربة الاضرار (الخصب) والنماء التي استعملها الشاعر الجاهلي في نطاق تجربته الإنسانية والواقعية، مستغلا رؤياه العادية اليومية، وما تعلمه في الحلّ والترحال، وهو عندما ذكر الأطلال إنما ذكر أرضه وانتماءه وذكرياته...²

¹- شاكر النابلسي، مجنون التراب دراسة في شعر وفكر محمود درويش ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987، ص 245. نقلا عن جمال مجناح ، دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث ، جامعة الحاج لخضر – باتنة- الجزائر ، 2007م-2008م الموافق لـ 1428هـ-1429هـ، ص140.

²- مرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

إذا أدركنا أن الوقوف على الأطلال هي من أولى المحطات والنماذج لالتقاء الإنسان بالأرض على القصيدة ، والوقوف لعظيم الشوق ، أو عدم الاستقرار والثبات.

فإنَّ الشاعر العربي الحديث في التقائه بالأرض ركّز وأكد على إيقاع الحاضر الذي يخبئ ويخفي الماضي ويتطلع إلى المستقبل الذي يراه زاهراً رغم بعده.

ولكن الأمل هو الذي يهوّن عليه هذا البعد ويراه يقترب يوماً بعد يوم. وهو آت لا محالة بإذن الله تعالى القادر على كل شيء.

وإذا كان لفظ الأرض في معاجم اللغة يعني كل شيء يسفل ويقابل السماء ، وما استقرت عليه القدم فإنه عند شعراء الثورة يدل على معنى الانتماء والملكية والمساحة المحددة، فكل قوم أرض يسكنون إليها، وقد يقابل عندهم هذا اللفظ الوطن والبلد فيقال : أرضي وبلدي ووطني.¹

حكاية الأرض ، جزء لا يتجزأ من سيرة الشعر والشاعر والمجتمع والعالم، إنها حالة عشق تعكس الجنون بالتراب وتؤطر الوجود في المكان، وهي الصورة الفنية والجمالية والوجه الآخر لصورة معركة الإنسان في الوجود ولذلك فلن يكون استثنائياً أن يتمثل هذا الشعر قصيدة الأرض، ويستحضر عناصرها في كل المواقف والمراحل ، كما أن هذه الظاهرة لم تكن حكراً على شاعر دون غيره.²

وما سبق الإشارة إليه بنوع من التوسع والإفاضة أدركنا بوضوح تام أهمية الأرض التي هي عنوان الانتماء بالنسبة للفرد، فلا غرابة إذن إذا ناضل وقاتل ودافع الشاعر بالكلمة والسلاح، واستشهد من أجلها حماية لها من كل محتل دخيل عليها، وهو ما تجلّى

1- وهيبه وهيب ، المعجم الشعري عند شعراء الثورة الجزائرية-دراسة معجمية دلالية- ص181.

2- جمال مجناح، دلالات في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، ص143.

من مواقف (تيمور) اتجاه سلطنته -سلطنة عمان- لما حاول البريطانيون الاستغلال والاستيطان بشتى الطرق على الدولة.

ليقدم شاعرنا مفدي زكرياء أبياتا عن هذا، وارتأينا أن تكون موزعة بالإختيار محاولة منا للوصول إلى المعنى المطلوب :

ومَهْدُوا من ضحاياهم نفوسهم	إلى الحياة، فاحيوا الدِّينَ والعربا
سَقُوا بلادهم روحاً فدائية،	فأثمرت لهم استقلالهم نشبا
كَمْ حاولت (برطانيا) اغتيالهم،	فأتبعوا الرأس من ثعبانها الذنبا
وكيف تغتال أقوامٌ تصونهم	عين الإله الذي أولاهم الغلبا
جعلتم الحربَ أمّا في سلامته،	والسِّيفَ فيه أحمًا، والحق فيه أبا
تيهي (عمانُ) بنصر الله حيثُ بدا	(ليث الإله) بـ(سيف الله) مصطحبا
انهض بأعباء ذاك الشعب متّحدا	يكفي الذي في حمانا-الدهر- قد لعبا
فامدّد على الأرض أسلاك الحديد كما	أمددت هيبتك الأعجام والعربا
واحرس هنالك أرضا تحت أضلعها	جسم الصّحابة من أجدادك النّجبا
«أرض مع الله عين الشّمس تحرسها»	فإن تغب أرسل الباري لها شُهْباً ¹

لقد أبرزت هذه الأبيات المذكورة- آنفا- على اختلافها مكانة الأرض بالنسبة للإنسان، فهو يضحى بأعلى ما يملك من أجلها ولو كان المضحي به روحه، وتستمر هذه التضحية متجددة متواصلة بعد تحريرها من أيدي الغاصبين من أجل النهوض بها في شتى المجالات ، والدفع بها نحو الأفضل وجعلها دائما في المقدمة.

¹ - مفدي زكرياء ، أمجادنا نتكلم ، ص 46- 50 .

كل ذلك يجعل المرء يتيه فخرًا وعزًّا بما قدم ويقدم لهذه الأرض التي لطالما تكرمت عليه بخيراتها ومنافعها، فقد آن له الأوان ليردّ بعض أفضالها عليه، وهو ما تعرضنا إليه بصورة مجملّة.

وفي حديثنا عن الأرض فإننا نكتشف تجربة تاريخية ارتبطت بالعلاقة بين بريطانيا وعمان، مبنية عن الموقع الجغرافي المتميز لهذه الأخيرة- سلطنة عمان- حيث مرت هذه العلاقة بأطوار متباينة وهذا إبان الغياب الطويل للسلطان تيمور بن فيصل (حكم 1913-1932) والذي استمر في إبداء رغبته بالتنازل عن العرش والإقامة في الهند وزيارة مسقط بشكل متقطع.¹

وهذا ما دفع بشاعرنا ببعث قصيدة بتاريخ: الأربعاء 15 محرم الحرام سنة 1344هـ [الموافق ليوم 05 أوت 1925م]²، ضمّنها رسالة إجلال وإكبار لجلالته- تيمور- راجيًا وآملًا منه النهوض والازدهار بأمتة، التي لطالما كانت وستظل مهد الحضارة ومنبت الأصالة، داعيًا إياه إعلاء راية الإسلام والنصر. ويكفيه فخرًا وكرامة أنها كانت أرضًا للأعظم وسلالة كلها عزّ وجاه (سلالة العزّ، أبناء الأعظم، بنو الصحابة...).

فحضور الأرض لا يكتفي بصورته الطبيعية وإنما هو حضور كوني وإنساني متشعب الأوجه ومتنوع الأنظمة والأنساق فهو وجه كل العناصر الكونية والفكرية، وبهذا المقدار نجد القصيدة بكل توجهاتها (ترتكز بكليتها على الأرض مكانا وزمانا وتتجسد عبر كل معطياتها).³

¹ - علاقة وطيدة: بريطانيا وعمان منذ 1750 ، بقلم فرانسيس أترام، متخصص في تاريخ الخليج، المكتبة البريطانية، <https://www.qdl/>

² - مفدي زكرياء ، أمجادنا نتكلم، ص50.

³ - ياسين النصير، جماليات المكان في شعر السبّاب، دار المدى للثقافة، دمشق 1995م، ص21، نقلا عن جمال مجناح، دلالات في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970. ص144.

3/ جماليات المكان :

أ- الصورة المكانية :

الصورة في مفهومها اللغوي هي: (حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته)¹، وهي تبرز قدرة الشاعر وتمكنه من خلال إخضاع الصور المختلفة في الاستعمال غير المألوف للغة، فتصير تراكيب وفي الآن ذاته لغة جديدة ضمن اللغة الأصلية الحقيقية ، لأنها لا تشذ عن قواعد اللغة المعروفة، فلغة خطاب الأديب لغة راقية تُرتقي بمتلقيها ، إلى درجة أعلى غير مألوفة لديه.

وتمنح المتلقي (القارئ) ما يُمكنه من الغوص في ما يخفيه الشاعر من خبرات وتجارب وأحاسيس متنوعة، يضيفها على النص الشعري ويرصعها بصور جمالية تأخذ القارئ وتشده إليها.

ونتاج ذلك هو استجابة لرغبات وتطلعات الشاعر الفنية إبداعا وجمالا وإبلاغا لرسالة كما يراها المتلقي (القارئ).

والصورة المكانية هي المرئية أو المفهومة من اللفظ الذي يدل على شيء في اللغة وعلى الجملة ، فهي التنسيق والدلالة المفهومة معاً.²

(وربما كان الغموض الذي يكتنف الصورة المكانية وما تحدثه فينا من آثار أقل بكثير من تلك الأسرار المحيطة بالصورة الموسيقية، بل ربما كان من السهل الآن دراسة العناصر المؤثرة في الصورة المكانية دراسة تربط المسببات بالأسباب. وتتصب هذه

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص437.

² - <https://aL-maktaba.or/book>.

الدراسة في الغالب على المفردات المكونة للصورة من حيث خصائصها الطبيعية الكامنة فيها¹.

وخص الله تعالى سلطنة عمان بموقع جغرافي خلاب يسر الناظرين من جمال طبيعية فاتنة، سهول منبسطة ، مياه متدفقة ، جبال عالية.

كل هذا وغيره جدير بأن يتعلق به زائر أو المقيم به، وهو ما شدّ شاعرنا مفدي زكرياء فنظم هذه القصيدة متعرضاً بكل اقتدار إلى وصف جماليات هذه الأمكنة والفضاءات.

ذاكراً ما حوته سماء عمان من جمال وصفاء وتألّئ للنجوم وبزوغ للشمس أخذ بالألباب، وكواكب ساطعة وقمر منير يحلو تحته السمر.

ويمثل هذه الاستخدامات لعناصر الطبيعية، تمكن الشاعر من (إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجاتها، وعندئذ يأخذ الشاعر كل الحق في تشكيل الطبيعة والتلاعب بمفرداتها وبصورها الناجزة كذلك كيفما شاء، ووفقاً لتصوراته الخاصة، إذا كان هو الطريق الوحيد أو الطريق الأصدق في التعبير عن نفسه)².

(هذا في الحقيقة هو "التكامل الفني" الصحيح بين الفنان والطبيعة، وهو الموقف الذي تقوم على أساسه فلسفة (الصورة) في شعرنا الجديد بخاصة، فعالم الأفكار-وهو بطبيعته غير واقعي- يحاول أن يصبح واقعياً بمعانقته للأشياء والبروز من خلالها)³.

¹ - عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط3، دار الفكر العربي، دبت، ص125.

² - المرجع نفسه، ص126.

³ - المرجع نفسه، ص 127.

واستعان الشاعر في هذا، بالصور البلاغية التي تزيد المناظر سحراً وارتقاءً بالتعبير. وتعتبر الصور البيانية المختلفة المتمثلة في التشبيه والاستعارة والكناية، أساس اللغة المجازية وعمودها وهي تصوير بدلالة الخيال، التي وظفها الشاعر مفدي زكرياء بقصد وعمد لأنّ توظيفها يعتبر لغة عفوية لا يتعلمها.

✓ التشبيه :

يعد التشبيه من الصور البلاغية التي استعملها الشاعر في قصيدته، وهو (الدلالة على مشاركة أمر آخر، في المعنى والمراد به هنا : ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد).¹

أو هو إحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل أحدهما (المشبه) مشابهاً للطرف الآخر في صفة مشتركة بينها، وتتمثل أدوات التشبيه في:

✓ قد يكون حرفاً كـ (الكاف - كأنّ)

✓ قد يكون اسماً كـ (مثل - شبه - نظير...)

✓ قد يكون فعلاً كـ (يحاكي - يماثل...)

والتشبيه يمد القصيدة بروح جديدة وبمعاني أكثر تعقيداً، فهو يؤدي دور الرابط النفسي في تحقيق وحدتها، فقد وظف الشاعر التشبيه بأنواعه، ومنها :

* تشبيه تمثيلي :

¹ - خطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن حمد، الإيضاح في علوم البلاغة، ط1، دار دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م، ص164

هو إذا ما ارتبطت صورتان بأداة التشبيه،¹ وبصورة أخرى : هو الذي يُشبه فيه الأديب صورة مركبة بصورة أخرى مركبة، أي ينتزع فيه وجه الشبه من متعدد لا منفرد. ومثال ذلك :

تبدو السّما والثّريا فوق مفرّقها كتاج مُلكٍ على (تيمور) مُلتهباً²
مُلتهباً²

تظهر السماء والنجم البعيد (الثريا) في العلياء كأنهما تاجان يرصعان ويجملان الملك (تيمور) كما يضيفي عليه الجمال والجلال والهيبة والوقار، وكل ذلك إشارة إلى مكانة هذا الملك العظيم بين عينيّه. فالشاعر هنا يختار أحسن ما لديه ليقدم به بمدوحه، وبأجمل الدلالات المعنوية يصفه، وجعله في العلو والارتفاع كالسما والنجوم.

* التشبيه المقلوب :

وهو جعل المشبه به بإعادة وجه الشبه فيه أقوى وأظهر،³ نحو قوله:

لَكَ المآثر في الدُّنيا مُؤبِدةً يا من تسامى السّما في مجده، وربّا
يا من تودُّ نجوم الأفق لو وُضعت في تاجه عوضَ الدُّر الذي نُصباً⁴

يوجه الشاعر خطاباً مباشراً إلى الملك (تيمور) مذكراً إياه بخصاله ومآثره ومناقبه العديدة على الدوام، فارتفع بذلك مكانة عظيمة بلغت عنان السماء، وزيادة في المجد والرفعة والحسب، فكيف لا ؟ وهو الذي تمنّت النجوم على جلالها وبعد مكانتها وارتفاعها لو رصعت وزيّنت تاجه عوض ما يزيّنه من دُر وذهب.

¹ -<https://a8.m.wikipedia.org>

² - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص45.

³ -<https://www.a8.m.wikipedia.org>

⁴ - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص48.

وأثر التشبيه من ذلك توضيح المشبه وتجميله والبرهنة على صحته تماماً، كما استعمله الشاعر في تصوير مكانة الملك بين قومه خاصة والعرب عامة، مستعيناً بالمدح والثناء على الممدوح.

✓ الاستعارة :

تعتبر الاستعارة من أهم أدوات تشكيل الصورة الشعرية ، (وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له).

وقد تقيد بالتحقيقية، لتحقيق معناه حساً أو عقلاً، أي : التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينصّ عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال : إنّ اللفظ نُقل من مسماه الأصلي، فجعل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه ¹.

وقد زين مفدي زكرياء قصيدته بالاستعارات المتنوعة، المكنية منها أو التصريحية، مثل :

سَيْفٌ صَقِيلٌ بِكَفِ الْعَدْلِ مَنْصَلَتًا إِذَا انْجَلَى فَرٌّ مِنْهُ الظُّلْمُ وَاحْتَجَبًا²

إنّك أيها الملك المفدى سيف صارم بتار على أعدائك تحمله كف عادلة لا ظلم ولا تمييز فيها مع الجميع وهو ما جعلك عدواً مبيناً للظلم وأهله فلا مكان للمعتدي بين رعيّتك أيها الملك العادل العظيم.

إذن هي استعارة تصريحية، فقد حذف الشاعر المشبه (الملك تيمور) وأبقى صفة من صفاته الذي هو الحسم في الحكم بالعدل تماماً كالسيف الصقيل الحاد الذي هو المشبه به.

وفي مثال آخر استعارة مكنية في قوله :

¹ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص212.

² - مفدي زكرياء، أمجادنا نتكلم، ص45.

سقوا بلادهم روحاً فدائية فأنثرت لهم استقلالهم نشباً¹
استرخص (العمانيون) أرواحهم ودمائهم الزكية من أجل غاية سامية نبيلة،
فكانت كما أرادوا وعملوا وضحوا من أجلها وأنعم بها من تضحية وفداء.

فقد شبه الشاعر بلاد (تيمور) بالشجرة المثمرة ثم حذف المشبه به وأبقى لازماً
من لوازمه الذي هو الإثمار.

وقد أبرز في هذه الصورة البيانية مدى تضحيات الشعب العماني من أجل أرضهم،
فسقوها بدمائهم الزكية دون بخل حتى استقلت وتحررت وازدهرت بعد ذلك.

✓ الكناية :

الكناية عبارة عن جملة أو كلمة تدل على معنى ملازم لها، مع جواز إرادة ذلك
المعنى، ويراد بها المعنى الأصلي²، والكناية تأتي بالمعنى مصحوباً بالدليل في إيجاز
وتجسيم. مثل :

إن ضيقوا صبروا، أو أغدقوا شكروا، أو أُرهِقوا كفروا الإرهاق والحرباً³
أي شعب عظيم أنتم أيها العمانيون، كيف تحولون المحن إلى منج، والمصائب
إلى أفراح ومسرات، ولا غرابة في ذلك إذا عُرِف معدنكم الأصيل، تتحملون وتقاومون
الشدائد والمصاعب بصبر وثبات دون تزعزع أو تبرّم وتقابلون السعة بالشكر والحمد،
وكل ذلك بلا تعب أو سأم أو انهزامية.

فهي كناية عن التحمل والجلد وعدم اليأس، وكذلك الحمد والشكر عند الغنى
واليسر والنعمة، فهم بين الصبر عند المحن والشدائد والشكر عند المصبرات.

¹ - المرجع نفسه، ص 46.

² - محمد بن صالح العثيمين، دروس البلاغة ، ط 1، دار السلفية، مصر، 1426هـ-2005م، ص 139.

³ - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص 46 .

وفي مثال آخر :

كان الشقاق سبيلاً للوفاق، وكَمْ
ترضي الخطوب قلوباً حبّها نَضَباً¹
أي وعي تتمتعون به، ولا أدل على ذلك من تحويل خلافاتكم وصراعاتكم طريقاً
ونهجاً إلى الوحدة والاتفاق، فأجمعت الخطوب والشدائد والتقت توحيداً للقلوب التي جفّ
وزال حبّها فأعادت إليها الحبّ والمودة والهدف الواحد والالتقاء على محبة (عمان)
فقط.

وهو كناية عن دور المحن الكبير في توحيد المتفرقين وجمعهم وتقويتهم بعد
ضعف. وقول آخر:

وكيف تغتال أقوام تصونهم عَيْنُ الْإِلَهِ الَّذِي أُولَاهُمُ الْغَلَبَ²
لا يمكن أن تغتال (بريطانيا) شعباً تحرصه عين الإله الذي لا غالب له، وهو الله
الذي منحهم هذه الغلبة، وهذا النصر العظيم المؤزر وهو القائل سبحانه وتعالى : ﴿إِنْ
يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾³.

هي كناية عن تعجب الشاعر من جرأة (بريطانيا) من محاولتها القضاء على
شعب (عمان) المحروس بعين الله تعالى الغالب بقدرته وعزته سبحانه عز وجل.

تبدو جمالية اللغة ومستواها الراقى من خلال الصور البيانية المتنوعة التي
اختترناها من القصيدة-موضوع بحثنا- ومن خلالها تبرز مقدرة الشاعر على الخروج
باللغة من التعبير الحقيقي إلى تعابير مجازية، تضيف على القصيدة جمالا وروعة، تشد
القارئ فيجد فيها لذة ونشوة، ولربما تعلق بها فحفظها أو بعضها. وهذا ينزاح على شعر

¹- المرجع نفسه، ص47.

²- المرجع السابق، ص46.

³- سورة آل عمران ، الآية 160.

مفدي زكرياء في مختلف الأغراض التي طرقها. وحسبه مكانة أنه مرتبط بالاسم بالثورة التحريرية المجيدة فقل عنه (شاعر الثورة).

ب- الواقع والخيال :

إن التطرق إلى ثنائية الواقع والخيال يحيلنا إلى مذهبين كبيرين في تاريخ المذاهب الأدبية، وقد سار بعض الشعراء العرب على نهج المذهب الواقعي إلى درجة أن بعضهم قد حمل الواقعية أكثر من اللازم، حتى أدى ذلك إلى فقدان الجانب الفني والأدبي، فقد جاء نتاج شعرهم من الناحية الفنية ضعيفا ومباشرا. وهذا يعني أنها لم تفهم الواقعية بوجه صحيح.¹

فقد تكشف هذه الثنائية تصورا خاصا لعلاقة الشعر بالواقع، وهذا لا يعني أن يتقيد الشاعر بالوصف الحرفي لما يراه، وإلا كان ذلك ضربا من السذاجة، ووقوعا في الواقعية الحرفية والتقريرية، وابتعادا عن روح الشعر.

ففي كتاب **العمدة** لـ **ابن رشيق** يكشف لنا عن كونه يفرد بابا خاصا يطلق عليه "باب الغلو" يقول فيه : (وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى). وإذا كان الكلام عنده يكون صحيحا إذا ثبتت حجته فإننا نجده قد قرّن الغلو بالخروج عن الحق.²

وهذا يعني أن الشاعر الحق هو من يطابق شعره الحقيقة والواقع، والغلو هو الابتعاد عن هذا النهج، ولا يتحقق في الشعر إلا بالصور التخيلية.

¹ - عادل بنمنصر ، الواقعية في الشعر ، مجلة كلية الأدب الجديدة، العدد5، 2000م، ص58.

² - العربي قنديل، الشعر بين الواقع والخيال، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، جامعة محمد الخامس، الرباط ، العدد 36، ص61.

ومنه فإن "الغلو" عند ابن رشيق يعتبر صفة قدحية تنبئ الشعراء على ضرورة الحد من شطحات الخيال، والتزام الصدق واحترام صلة الشعر بالمنطق والواقع، وأن تكون وظيفة الخيال مساهمة في التعبير عن الواقع.¹

أما عبد القاهر الجرجاني فقد أخذ صفة الحكم أو القاضي في النظر لعلاقة الشعر بالحقيقة، فهو يقسم المعاني إلى قسمين : قسم عقلي (صحيح مجراه في الشعر والكتابة والبيان والخطابة، مجرى الأدلة التي تستنبطها العقلاء... وهو معنى صريح محض يشهد له العقل بالصحة).² وهو يتصف ويتطابق مع الحقائق. أما الثاني فهو القسم التخيلي (فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق وإن ما أثبتته ثابت وما نفاه منفي، وهو مقنن المذاهب، كثير المسالك، لا يكاد يحصر إلا تقريبا، ولا يحاط به تقسيما وتبويبا، ثم إنه يجيء طبقات، ويأتي درجات...).³ فهو يرى التخيل أنه ذلك الفعل الذي لا يمكن الحكم عليه صدقا أو كذبا.

ويعرف المتخيل بأنه (بناء ذهني، أي أنه نتاج فكري بالدرجة الأولى، وليس نتاجا ماديا، في حين الواقع معطى حقيقي وموضوعي، وإنّ المتخيل يخيل إلى الواقع ويستند إليه، في أن الواقع يحيل إلى ذاته. ويمكن القول إن الأدب ينطلق من واقع ويعبر عن واقع علاقة المتخيل بالواقع).⁴

والتداخل الحاصل في النص الشعري ، إذا كانت له مرجعية بالواقع وما لا يمتلك ذلك، فإنه يحتاج اجتهدا من المتلقي في ربط هذا النص بمرجعه، ولذلك نجد بعض الأعمال الإبداعية الخلاقة ترتفع بالواقع الذي كان مادة أولية لها إلى مصاف الأسطورة

¹ - المرجع نفسه.

² - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: السيد رشيد رضا، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، د.ت، ص116.

³ - المرجع نفسه، ص117.

⁴ - محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2011م، ص39.

والخيال، ونجد أعمالاً إبداعية أخرى تحول الأسطورة والخيال إلى كون سحري يدرك بالاعتقاد وليس باليقين.¹

والمكان أياً كان شكله، ليس هو المكان في الواقع الخارجي، ولو تمت الإشارة إليه بالاسم في العمل الفني. وهذا يعني أنه من خلق الشاعر في قصيدته. أبدعه باللغة، استجابة لحاجات التخيل في عمله. لإضفاء نوع من الجمالية للمكان.

ففي الطبيعة يخلق الخيال الشكلي كل الجمال غير الضروري داخل الطبيعة مثل الأزهار، في حين أن الخيال المادي يهدف إلى عكس ذلك، حيث يسهم في إنتاج ما هو بدائي وخالد في الوجود. وفي داخل العقل الإنساني يكون الخيال الشكلي مغرماً بالطرافة والجمال الفاتن وبالتنوع وبالمفاجأة في الأحداث، بينما يتركز الخيال المادي على عناصر الديمومة في الأشياء.²

ارتقى الشاعر مفدي زكرياء بالواقع المعيش من خلال اللغة التي يمتلك ناصيتها إلى الخيال الغائر الذي يتمتع به، فأعطى بذلك مسحة رائعة في الجمال على القصيدة ولا أدل على ذلك من التصوير البديع الذي لمسناه ووقفنا عنده ونحن نحلل القصيدة.

فهو لما يتعرض إلى طبيعة (مسقط) فإنه يرفع من قدرها وقيمتها وأهميتها، وذلك وجدناه يتقن ويبدع في وصفها، والارتقاء بها من خلال خياله الذي يثبت به ثقافته الواسعة التي من أساسها المتين القرآن الكريم والثقافة الدينية عموماً.

فهو ينقل بعض ما في الجنة من طيور وأشجار... ويسقطها على طبيعة (مسقط)، فقد خصها بالجنان الفاتنة في أبهى تصوير يدعمها فيذكر ما تحوي من بلابل وأنهار وخضرة، آية في الروعة والجمال.

¹<https://www.echoroukonline.com> .

² - <https://alar.com.uk>

كما هو موضح في الأبيات :

وامتدَّ عطفًا على يُمنى الطبيعة في جنات (مسقط) ، وارشف ثغرها عَجَبًا
حيث البلبل في نادي الخطابة قد رامت بـ(مسقطها) أن تشبه الخُطْبَا
والموج يبدو بأثواب مفضضة في مسرح الرقص مُذْ لا يشتكي تعبًا
والشمس صفراء في مرفأ الوداع بدتْ والروح في شعرها الفتان قد لَعَبًا¹

ثمَّ أَقْبَلَ ناحية الطبيعة الغناء بمسقط الجمال والبهاء، كأنها حيث تبتسم ضاحكة بخضرتها واتساعها، يزيدها تغريد البلبل الصداعة روعة كأنها في منتدى الخطابة وقد ارتاحت لهذا المكان الأخاذ فأصبحت تغريداتها كأنها خطب رنانة، والموج ما أحلاه وهو ظاهر مرتدياً أثواباً زاهية في فضاء الرقص متمائلاً مرتفعاً حيناً ونازلاً حيناً آخر دون كلل أو تعب، جذلان وقد أخذته نشوة الفرح والطرب، أما الشمس الصفراء الذهبية اللامعة حين الوداع قد ظهرت والرجوع في شعرها الأخاذ قد لَهَا وَلَعَبَ وطرب حبا وجمالا منذرا بالوداع والغروب، وهو منظر رائع لفت نظر الشاعر فلم يغفله، وهو ما يدل على فطنة وإلمام الشاعر بكل ما يمكن أن يضيفي على القصيدة من جمال يبرز فضاء (مسقط العمانية).

وهذا تماما كما يحاول الفنان (أن يصنع من الذاتي واقعيًا، من خلال الصورة المحسوسة، يبدو هذا الواقع الجديد مغايراً للواقع القبلي المرصود. إنّ هذا الواقع الجديد ليس في الحقيقة واقعا على الإطلاق إلا بمقدار ما يمكن أن نزعّم للوجدان حين يعانق الطبيعة من واقعية)².

¹ - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص 44.

² - عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص 128.

خاتمة

خاتمة :

إن هذه الدراسة الموسومة بـ تجليات المكان العماني في ديوان (أمجادنا نتكلم) لمفدي زكرياء ، تكشف عن أبرز الدلالات التي تضمنها شعر المكان كون الشاعر وظفه في شعره مع مسaire التاريخ والجمالية التي ارتبطت بذاتيته، وبعد البحث والتقصي والتحليل توصلنا إلى نتائج متنوعة نذكر منها التالي :

- 1- أما عن مرجعيات المكان في شعر مفدي زكرياء، فقد تجاوز حدود اللغة إلى أشكال من الرموز والدلالات الدينية والمبالغة في الوصف.
- 2- اتبع الشاعر شكلا معينا للتعبير به في توظيفه لصورة المكان العماني من خلال إعادة بعث التراث الذي مرت به المنطقة، وهنا نكتشف دقة اطلاعه على تاريخها قديما - عمان -.
- 3- تظهر مدى استعانهه بالتراث في تصويره (عمان) ليثبت صحة الهوية الدالة على عروبة المكان، رغم محاولات الطمس والمسخ التي مورست على هذه المنطقة .
- 4- من خلال التحولات الدلالية للمكان نجد بعض الأماكن تتجاوز نطاقها ومفهومها المألوف إلى دلالات أخرى فرضها الزمان والمكان، فوجدنا "البحر" وتحوله للأنيس والرفيق، وهنا يكتسب صفة الأنسنة، فالشاعر وظفه دون أن يتناسى طابعه الجغرافي والطبيعي وكشفه عن جمالياته.
- 5- تمثل صورة الأرض والطبيعة من أخصب الصور المكانية لما توفره من أبعاد رمزية، فحضور مصطلح "الأرض" لا يكتفي بصورته الطبيعية، إنما هو حضور كوني وإنساني متشعب الأوجه ومتنوع الأنظمة والأنساق.
- 6- وقد وفق شاعرنا في إبراز "المكان العماني" وجماليات من خلال مسحة تاريخية دينية، وميز عمان وملكهم (تيمور) عن باقي البلاد العربية، فوصفهم بأبلغ

صفات القداسة والإجلال التي عادة ما تختص بها الأماكن الغيبية الواردة في الموروث الديني .

7- كما كشف عن بعض الروابط الثقافية والدينية بين سلطنة عمان والجزائر.

وإنه يمكننا أن نقر حقيقة راسخة لا خلاف حولها ألا وهي تعلق الكائن الحي بوطنه مهما كان، ولا أدل على ذلك من تقديم المرء روحه وأغلى ما يملك من أجله، وجعله دائما عاليا راقيا بين الأوطان .

وإنني - كأبي باحث- أتمنى أن أكون موفقة في ما قدمته من آراء يعود الفضل في الوصول إلى ما وفرته لي توجيهات أستاذي المشرف .

والله ولي التوفيق



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولاً: المصادر

- 1) مفدي زكرياء ، أمجادنا تتكلم و قصائد أخرى ، جمع و تحقيق : مصطفى بن الحاج بكير حمودة ، مؤسسة مفدي زكرياء ، الجزائر ، 2003.
- 2) اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

ثانياً: المراجع

- 1) إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي (الجزائر نموذجاً 1925-1962)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- 2) باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1429-2008م.
- 3) حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية (دراسة نقدية) ، ط1، المركز الثقافي العربي ، لبنان، المغرب، 2000.
- 4) حميد لحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي ، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991.
- 5) حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر (أحمد عبد المعطي حجازي نموذجاً) ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2006.
- 6) حواس بري، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1994.
- 7) الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر ابن أحمد محمد ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، 1424هـ- 2003م.

- (8) خليل إبراهيم أبو دياب ، دراسات في فن القص، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية، مصر، 2006.
- (9) سعيد يقطين ، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ، ط1، المركز الثقافي العربي ، المغرب، 1997.
- (10) شاعر النابلسي ، مجنون التراب -دراسة في شعر وفكر محمود درويش- ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، 1987.
- (11) شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط10، دار المعارف ، مصر، 2003.
- (12) طاهر عبد المسلم، عبقرية الصورة و المكان التعبير-التأويل- النقد، ط1، دار الشروق، عمان-الأردن، 2002م.
- (13) عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، ط3، دار الفكر العربي ، د.ت.
- (14) عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2003.
- (15) عبد العزيز لخضر، جماليات المكان في رواية امرأة عند نقطة الصفر لنوال السعداوي ،جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2003.
- (16) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تح: السيد رشيد رضا، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، د.ت.
- (17) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998.
- (18) نظرية النص الأدبي ، دار هومة ،بوزريعة -الجزائر-، 2007.

- (19) غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مفهومية، مجلة أبحاث كلية العربية الأساسية، مجلد 11، العدد 2، 2010.
- (20) فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، ط1، دار الانتشار العربي، 2008.
- (21) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 1431هـ/2010م.
- (22) مثنى عبد الله المتينوني، حركية الفضاء في الشعر الأندلسي نصوص ابن زيدون الشعرية أنموذجا، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2003.
- (23) محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2011م.
- (24) محمد بن صالح العثيمين، دروس البلاغة، ط1، دار السلفية، مصر، 1426هـ-2005م.
- (25) محمد زموري، شعرية الفضاء في القصة القصيرة، مطبعة أنفو-برانت 12، شارع القادسية، فاس المغرب. د.ت.
- (26) محمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1995.
- (27) محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2007.
- (28) محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي علي ضوء المناهج النقدية الحداثية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003.
- (29) محمد عويد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي، ط1، مكتبة الثقافة العربية، مصر 2005.

- (30) محمد غنمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة ودار العودة، بيروت، 1973.
- (31) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ط2، جمعية التراث، العطف (غرداية)، الجزائر، 1984.
- (32) محمد مهداوي، جمالية المقدمة في الشعر العربي القديم (مقاربة تحليلية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- (33) محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط2، دار بهاء، قسنطينة، الجزائر، 2007.
- (34) مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينة، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، سوريا، 2011.
- (35) نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، د.ط، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، 2011م.
- (36) نور الدين السيد، الشعرية العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- (37) ياسين النصير، جماليات المكان في شعر السياب، دار المدى للثقافة، دمشق، 1995.
- (38) يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء، ط1، دار كتاب البحث، قسنطينة، الجزائر، 2005.
- (39) يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

ثالثا: المعاجم

- (1) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، ج1، تحقيق وتقديم: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، نوفمبر 1987.

- (2) السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، ط1، ج36، تحقيق، عبد الكريم العزايوي ، راجعه: ضاحي عبد الباقي وخالد عبد الكريم جمعة ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1422هـ-2001م.
- (3) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين ، ج5، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، سلسلة المعاجم والفهارس ، د ت.
- (4) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط1، مجلد 13، دار صادر، بيروت، لبنان، 1990.

رابعاً: الكتب المترجمة:

- (1) رولان بارت، لذة النص ، ط1، ترجمة: منذر عياشي ، دار الوسيم للخدمات الطباعة، سوريا ، 1992.
- (2) غاستون باشلار، جماليات المكان، ط2، ترجمة: غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، 1014هـ-1984م.

خامساً: الأطاريح والرسائل

- (1) أحمد العياضي ، القيم الجمالية في الشعر الجزائري المعاصر 1975-2000، مخطوط شهادة دكتوراه علوم تخصص أدب جزائري معاصر ، جامعة محمد خيضر -بسكرة- الجزائر ، 2013-2014م الموافق ل: 1435-1436هـ.
- (2) بدر نايف الرشيد ، صورة المكان في شعر أحمد السقاف ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الأوسط ، 2011-2012م.
- (3) بوعلي عبد الناصر، الوظائف الدلالية في شعر مفدي زكرياء، مخطوط شهادة الدكتوراه في اللغة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2006-2007م.

- (4) جمال مجناح، دلالات في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، مخطوط شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر-باتنة-، الجزائر، 2007-2008م، الموافق ل: 1428هـ-1429هـ.
- (5) حجاب عبد اللطيف، دلالة المكان في شعر مفدي زكريا، مخطوط شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة الجزائر، 2013-2014م.
- (6) محمد العروسي حامدي، الجملة الفعلية وأنماطها في إلياذة الجزائر للشاعر مفدي زكرياء-دراسة دلالية- مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2011-2012.
- (7) مها داود محمود أحمد، دال البحر في شعر محمود درويش، رسالة مقدمة لاستكمال مستحقات الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011.
- (8) وهيب وهيب، المعجم الشعري عند شعراء الثورة الجزائرية- دراسة معجمية دلالية- محمد العيد آل خليفة- مفدي زكريا- أحمد سحنون (نماذج)، مخطوط شهادة دكتوراه في اللغويات العربية القديمة، جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان-، الجزائر، 1435هـ/2015-2016م.

سادسا: المجلات والدوريات:

- (1) عادل بنمنصر، الواقعية في الشعر، مجلة كلية الأدب الجديدة، العدد 5، 2000.
- (2) عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج27، العدد1، 2005.

- (3) العربي قنديل، الشعر بين الواقع والخيال، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد 36. د.ت.
- (4) شيماء نجم عبد الله ، نجوم السماء وكواكبها في شعر أبي العلاء المعري -الرؤية والتوظيف- ،مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد، العدد 90.د.ت.
- (5) نصيرة زوزو، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، جامعة محمد خيضر - بسكرة- الجزائر ، جانفي 2010.

سابعاً: المواقع الإلكترونية:

- (1) علاقة وطيدة : بريطانيا وعمان منذ 1750 ، بقلم: فرانسيس أترام، متخصص في تاريخ الخليج، المكتبة البريطانية، <http://www.qd//>.
- 1) <http://www.alarab.co.uk>.
- 2) <http://www.alukah.net/shaia/018603>.
- 3) <http://www.a8.m.wikipedia.org>
- 4) <http://www.al-maktaba-or/book>
- 5) <http://www.echoroukonline.com>
- 6) <http://www.islamiyyat.3abber.com>
- 7) [http://www.sites.abiyadh. Com>alyamamah](http://www.sites.abiyadh.Com>alyamamah).

فهرس الموضوعات :

	شكر
	إهداء
أ - د	مقدمة
16-05	الفصل التمهيدي
06	1/ حياة الشاعر مفدي زكرياء (مولده ، وفاته ، أعماله)
11	2/ مراحل شعره
15	3/ لمحة عن ديوان " أمجادنا نتكلم "
40- 17	الفصل الأول : تحديد مصطلح المكان
18	1/ مفهوم المكان
18	أ/ لغة
20	ب/ اصطلاحا
20	المفهوم الفلسفي للمكان
21	المفهوم الأدبي للمكان
27	2/ أنواع المكان
27	أ/ المكان الطباعي
27	ب/ المكان الجغرافي
28	ج/ الفضاء الدلالي
29	3/ المصطلحات المقاربة للمكان
29	أ/ تعريف الفضاء
34	ب/ تعريف الحيز
37	ج/ إشكالية الفضاء والمكان
39	4/ أهمية المكان
73-41	الفصل الثاني : دلالة المكان في قصيدة " تحية البعثة الميزابية لجلالة الملك تيمور بن فيصل "
42	1/ تنوع الأمكنة ودلالاتها

43	أ/ المكان الديني والطبيعي
50	2/ المكان وتحولات الدلالة
50	أ/ أنسنة المكان
51	البحر
56	النجوم
58	ب/ صورة الأرض
63	3/ جماليات المكان
63	أ/ الصورة المكانية
69	ب/ الواقع والخيال
76-73	خاتمة
84-77	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس الموضوعات
	ملخص

ملخص :

يطرح البحث مسألة تجليات المكان العماني في ديوان "أمجادنا تتكلم" في قصيدة "تحية البعثة الميزابية لجلالة الملك تيمور بن فيصل" للشاعر الجزائري مفدي زكرياء، والذي اعتمد فيه على توظيف الأماكن المختلفة كأداة لوصفه في صورة فنية ودلالات وأبعاد متعددة في شعره .

هذا ما استقرت قراءتنا لها - القصيدة- من خلال محاولتنا البحث على مفهوم المكان عند بعض النقاد المحدثين العرب والغرب، والبحث على الأبعاد الجمالية وراء توظيف المكان بأنواعه.

ولعل هذه الآفاق التي تفتحها دراسة المكان هي آفاق خصبة غنية وواسعة، بإمكان القارئ من خلالها تحقيق متعة أكبر في التعامل مع المكان في الشعر الجزائري.

الكلمات المفتاحية : التناص الشعري ، تأثير المكان وجمالياته ، الدلالة وتحولاتها.

Sommaire :

La recherche pose la question des manifestations de la place Omanais au bureau Dans nos lauriers parlent un poème «Message d'accueil mission Almizabah à sa Majesté le Roi Timor Bin Faisal» Le poète algerien «Moufdi Zakaria» . Dans lequel il s'est appuyé sur l'utilisation de différents endroits comme un outil pour le décrire dans une forme artistique, et avec des significations et des dimensions diverses dans poésie.

C'est ce que nous avons lu - le poème - à travers notre tentative de recherche le concept de lieu dans certains critiques modernes arabes et occidentaux . Et la recherche sur les dimensions esthétiques derrière l'utilisation de la place de toutes sortes .

Peut-être ces perspectives ouvertes par l'étude du lieu sont riches et larges perspectives fertiles . grâce à laquelle le lecteur peut obtenir un grand plaisir à traiter de la place dans la poésie algérienne .

Mots clé: poésie poétique , l'influence du lieu et son esthétique , importance et transformation .